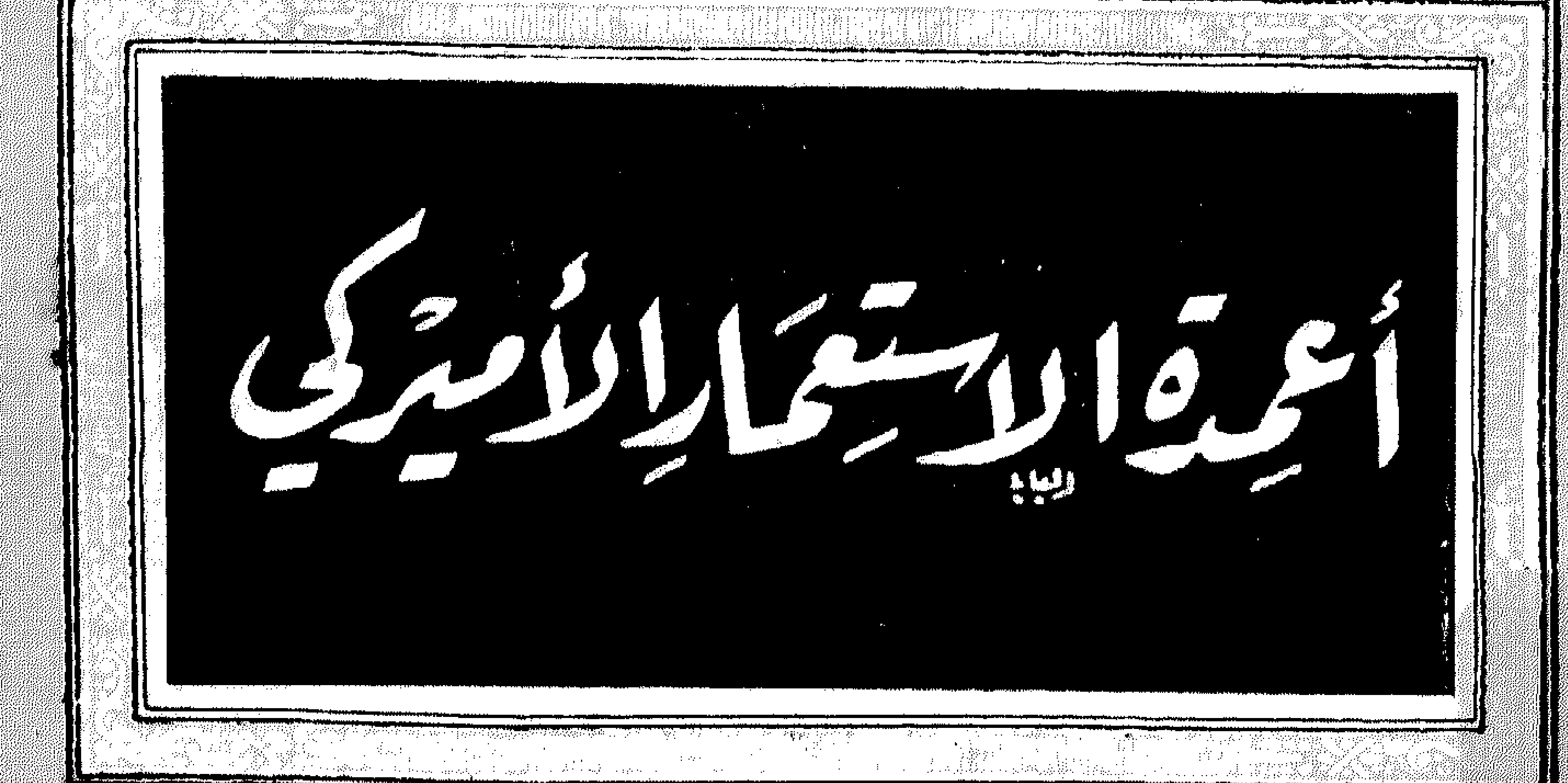




للعالم الاقتصادي الأميركي

فيكتور بيرلو

الطبعة الثانية

دار العلم للملايين

علّم نفسك

٧

أعمدة الاستعمار الأميركي

للعالم الاقتصادي الأميركي

فيكتور بيرلو

مع مقدمة للكاتب الاجتماعي الكبير

الدكتور جورج حنا

الطبعة الثانية

دار العلم للملايين

بيروت

١٩٥٤

الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٥٢
الطبعة الثانية ، نيسان ١٩٥٤

مقدمة

بقلم الكاتب الاجتماعي الكبير

الدكتور جورج حنا

الحقائق التي يكشف عنها هـذا الكتاب يجهلها الكثيرون من الناس . هذا ما يجعله جديراً بالمطالعة لكي لا تبقى هذه الحقائق مجهولة .

ومما يزيد في قيمة الكتاب ، مجيئه في وقته . وممـــا يزيد في قيمته ايضاً،ان مؤلفه اميركي،والدار الناشرة (للأصل) اميركية، والمستندات الواردة فيه مأخوذة من صحف اميركية وتقـــارير وضعها رجال السياسة وارباب العمل في اميركا نفسها . ومما يزيد في قيمة الطبعة العربية اكثر واكثر ، صدورها في الوقت الذي يشنّ فيه الاستعمار الاميركي معركته على العالم العربي وعلى زميليه ، الاستعمار البريطاني والفرنسي معاً .

وقد احسن المعرّب اختيار الظرف المناسب لاصدار هـــذه الطبعة . فالظرف الذي تمرّ فيه الاقطار العربية ، والمساعي التي تبذلها الولايات المتحدة،لتقوية نفوذها في هذه الاقطار، والمشاريع التي أدخلتها ، والتي تنوي ادخالها عن طريق الفرض المبطّن بغيرة

انسانية تارة ، واجتماعية او دفاعيـــة تارة اخرى ، اخفاء للغاية الاستثمارية الاستعمارية ، هدفها الاول والاخير ، يضاف الى ذلك الميوعة المتجلية في سياسة الحكومات العربية، كل هذه الامور من شأنها ان تجعل من كتاب «اعمدة الاستعمار الاميركي» كتاب الساعة ، وتكسب معرّبه فضلاً تعترف له بـــه الشعوب العربية والشعوب المستعمَرة والمستثمَرة جمعاء .

لقد قرأت هذا الكتاب من الفه الى يائه . وإني اتمنى ان يقرأه كل قارىء عربي ، ويتمعّن في محتوياته ، ثم يصدر حكمه عـــلى ضوء هذه المحتويات ، في الدعاوات التي تروّجهـا المحافل السياسية الاميركية ، والدعاوات التي تسخرها هذه المحافل . ونحن عـــلى اكثر من اليقين ، انه لن يلبث عندئذٍ حتى يضع هـذه الدعاوات على المحك ، ويعرف غثها من سمينها ، اذا كان فيها من سمين.

فمنذ وضعت الحرب الاخيرة اوزارها ، وخرجت منها اميركا باقلّ قسطٍ من الخسارة ، بالنسبة الى خسارة احلافهـا ، وجدت نفسها في مركز يمكنها من فرض سيطرتها عـــلى من قبل منهم بالرضوخ لزعامتها ، ورأت المجـال مفتوحاً امامها لتوسيع مدى استعمارها الاقتصادي على حساب هؤلاء الاحلاف الاتباع. زد على ذلـك انقسام العالم بعد الحرب الى شطرين متباعدين ، او جبهتين مختلفتين في نظرتها الى الحياة من نواحيها الاقتصادية والاجتماعيـة والسياسية والنظامية، الواحدة اشتراكية يتزعمها الاتحاد السوفياتي والثانية رأسمالية تتزعمهـا الولايات المتحدة الاميركية . وإذ رأت هذه الاخيرة ان الجبهة التي تتولى هي زعامتهـــا آخذة بالتقلّص

شيئاً فشيئاً ، وان اجزاء واسعة من العـــالم افلتت من قبضتها الاقتصادية ، لا سيما بعد نجاح الثورة الشعبية الصينية، بدأت تفكر فيما قد يجرّه عليها هذا الوعي الجديد في الشعوب ، وفيما عساها ان تعمل لـكي تحافظ على سيادتها الاقتصادية، وتضمن لرساميلها حرية التحكم بالأسواق العالمية ، كما تضمن ايضاً استقرار الحالة المعيشية في بلادها . من هنا نشأت عندها الفكرة الاستعمارية التي يحمل لواءها ملوك المال والصناعة والتجارة ، والتي تتمركز قيادتها في « الوول ستريت » .

ولكن الاستعمار لم يعد مهضوماً ولا مقبولاً عند الشعوب . حتى الحكومات التي تتحكم في شعوبهـــا بقوة الاستمرار،لم يعد بمقدورها خنق الروح التحررية الشعبية الوثابة بل لم يعد بمقدورها مواصلة تقديم العون للاستعمار . فالحكمة إذن تقضي بخلق صيغة جديدة تخدع الشعوب المطموع بها، وما اكثر هذه الصيغ في جعبة المستعمرين . هذا ما يبيّنه بكثير من الجلاء هذا الكتاب .

اما الصيغة الجديدة التي خلقها الاستعمار الاميركي والتي اشرف على خلقها «الوول ستريت» فهي المساعدة للبلدان المتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، والوعود التي تضمنتها النقطة الرابعة من خطاب الرئيس ترومان ، والدفاع عن العـــالم الحرّ ، ومقاومة المبادىء الشيوعية ، وما كان على شاكلة ذلك من ضروب الدجل السياسي ، الـــتي اعتمدتها السياسة الاميركية الجديدة لاظهار اميركا بمظهر الانساني المنقذ ، الذي يعمل لخير البشرية والسلام العالمي .

على انه فات السياسة الاميركية ان الوعي الشعبي بلغ حداً لم

تعد تنطلي فيه هذه الحيل على الشعوب. فالشعوب الاسيوية آخذة بالتحرر من النير الاستعماري مقتدية ً بالشعب الصيني . والشعوب الافريقية ، الشمالية منها على الاخص ، تتحفز للوثوب . والشعوب العربية التي اصبحت اليوم قبلة الاستعمار الاميركي، بفضل كنوزها النفطية الغنية ، ثائرة على الاستعمار وعلى عميلته وحليفته الرجعية الوطنية . كل هذه الامور بدأت تقلق اميركا وملوك رأس المال الاميركي . فرأس المال الاميركي هو الموجّه الاول للسياسة الاميركية ، بل قد لا يكون للسياسة الاميركية موجّه سواه . وان شئت برهاناً على ذلك فانك تجده فيما ستقرأه في هذا الكتاب من تصريحات اقطاب السياسة والاعمال الاميركيين . اسمع ما يقوله المستر اتشيسون ناظر خارجية اميركا في خطاب القاه في آذار عام ١٩٥٠ :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير تعويض عادل (كذا) وان في ميسورهم ان يُخرجوا ارباحهم المشروعة ورأسمالهم من البلاد (يعني البلاد التي يوظفون فيها رساميلهم) ، وأن تكون لهم حرية معقولة في إدارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي . » ثم يقول ايضاً :

« يجب علينا ايجاد المناخ الملائم لتوظيف الرساميل . »

والمناخ الملائم في عرف السياسة الاستعمارية ، كما دلّنا تاريخ الاستعمار، معناه التدخل في السياسات الوطنية وقمع الحركات الشعبية تحت ستار المحافظة على الامن العام . وليس علينا ان نبعد كثيراً لنرى امثلة عن ايجاد هذا المناخ الملائم عندنا . فلكي يكون

المناخ ملائماً لتوظيف الرساميل الاجنبية ، يسعى اصحابها اولاً لأشراك اصحاب الرساميل الوطنية بقسط محدود من الارباح ، ثم يسعون بنفوذهم ونفوذ شركائهم الوطنيين الى سن قوانين تساعد على نشوء المناخ الملائم هذا ، ثم يتحالفون مع القوى الرجعية في البلدان التي تطغى فيها رجعية الاقطاعية والدين، ليشلّوا الحركات التقدمية . وعندما تخونهم هذه المداورات يخلعون اقنعتهم، وتثور غيرتهم على الاستقرار والامن العام والسلام العالمي والمثل العليا ، ويلجأون الى التهديد المقنع ثم التهديد المكشوف . يفعلون كل ذلك لايجاد المناخ الملائم الذي تكلم عنه السيد اتشيسون ، والذي نرى مسطرة عنه في بلادنا .

ثم اسمعه يقول في خطاب له عن النقطة الرابعة ، بعد مقدمة طويلة عريضة من الدعاية المألوفة : « احسب ان هناك فكرة شائعة تذهب الى اننا سوف ننشىء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فأنا اعلنُ هنا ان ذلك غير صحيح ». فكأن السيد اتشيسون اراد بذلك ان يطمئن اصحاب الرساميل الكبيرة والصناعات الضخمة ، الى ان مشروع النقطة الرابعة لن يرتكب جريمة ايجاد صناعات في البلدان التي يشملها ، بل يكتفي بارسال خبراء يساعدون على خلق مشاريع زراعية ومائية وفتح طرقات وما اشبه ، تفسح للصناعة الاميركية مجال التصدير ويكون فيها الخبراء سماسرة لرأس المال الاميركي. هذا ما لمسناه في الاتفاقات التي عقدها ويعقدها ممثلو هذا المشروع مع حكومات الدول التي وافقت عليه ومنها حكومتنا .

لقد كانت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، عبارة عن تجارة رابحة لاميركا، استطاعت بواسطتها تقوية صناعاتها وتضخيم رساميلها، فاكتسبت بذلك الزعامة المالية والصناعية . وهي الآن لا يهمها شيء اكثر من ان تحافظ على هذه الزعامة باية وسيلة كانت ، حتى لو اقتضاها الأمر زجّ العالم في حرب ثالثة . المهم ان تبقى لها هذه الزعامة ، التي تحدث عنها بوضوح Leo D. Welch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط في خطاب القاه سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

« تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم ، سياسية واجتماعية واقتصادية . ان من واجبنا ان نحققها باوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . ان علينا بوصفنا اكثر دول الأرض انتاجاً واقواها رساميل واغناها بالصناعة الآلية ان نحزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الأسهم في تلك الشركة التي يطلقون عليها اسم العالم . وليس ينبغي ان يكون ذلك الى اجل مسمّى. إنه واجب سرمدي لا يجوز التفريط به» . .

(هتلر يتكلم ...) ثم يخلص الى القول :

« والواقع ان سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها مما كانت في ايما وقت مضى . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا لايقل اهمية (كان اقرب الى الصدق ان يقول : اكثر اهمية) عن احترام مبادئنا السياسية . »

أليس في هذا القول ما يعني ان السياسة الخارجية الاميركية هي طوع الرساميل الاميركية وتتكيف بارادة ملوك

الوول ستريت وطبقاً لمصلحتهم ، ولو ادّى ذلك الى اللجوء للقوة والحرب للمحافظة على زعامة اميركا التي هي بالفعل زعامة الوول ستريت؟ هذا ما يجيب عليه الماجور جنرال سمدلي بتلر في مذكراته عن حياته العسكرية اذ يقول :

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي كنت في معظمها اشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى » .

لست انوي ان اجيء في هذه المقدمة على كل الشواهد والمستندات الدالة على ان السياسة الاميركية الخارجية اصبحت سياسة استعمارية مائة بالمائة . اني اترك للقارىء ان يتبين هذا لنفسه بعد قراءة هذا الكتاب. على ان ما اقصده هو ان يدرك بنو قومي دجل الدعايات التي يروّجونها عن المساعدات الاقتصادية والنقطة الرابعة والثقافة الحرّة والمبادىء الانسانية، والديموقراطية الصحيحة التي تدعي اميركا زعامتها والتي قالت فيها الكاتبة ماري ليزا، احدى زعيمات الحزب التقدمي الاميركي :

« لم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب ، بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت . والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالخرق البالية » .

مهما اجتهدت الدعاية الاميركية لتصوير اميركا بصورة الدولة المسالمة ، الراغبة في مساعدات الشعوب ، والعاملة في سبيل السلام العام، ومهما انكرت هذه الدعاية كون اميركا دولة استعمارية، ومهما

تثوت اميركا من وعود وعهود ، ومهما انفقت عـــلى دعايتها من اموال ، فالامر الذي لا تستطيع اخفاءه عن الناس ، الا ّ على من كان منهم فاقد البصر والبصيرة ، هو طغيان رأس المال الاميركي على السياسة الاميركية ولا سيما على السياسة الخارجية فيها ، كما انها لا تستطيع تبرير موقفهـــا من الحركات التحرّرية في البلدان التي تطمع باستعمارها واستثمارها فعلياً ، ان لم يكن اسمياً ايضاً . ففي كل بلد من هذه البلدان تعمـد السياسة الاميركية الى مساعدة القوى الرجعية فيها ، فتهرع الى اسداء المعونة لها لوقف كل حركة شعبية تقدمية ، او وطنية تحرّرية . فبينما هي تصطنع الغـيرة على حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، وبينما نسمع دعاواتها تشكو من الحكام الرجعيين في البلدان الاسيوية والافريقية والعربية ، وتتغنى بحرية الشعوب ، اذا بنا نراها تحضن تشان كاي تشك في الصين ، وسيغمان ري في كوريا ، وتمالق الديكتاتوريين العسكريين في كل بلد منكوب بهم ، وتناصر مستعمري الهندالصينية وتونس والجزائر ومراكش ومصر ، وتحتل اليونان ، وتؤيد الحكومات المستبدة في تدابيرها القمعية لكل حركة نضالية شعبيـة ، متذرعة بالمبادىء ، وهي ابعد ما تكون عن الاهتمام بالمبادىء (راجع ما ورد في هذا الكتاب من خطاب Leo D. Welch) يدفعها الى كل ذلك غيرتها الملحّة في ان تضمن سلامة رساميلها ، وتحافظ على زعامتها للعـالم الذي ابتكرت له اسم العالم الحرّ ، علّها تتمكن بذلك ان تصبح زعيمة العالم كله . فالهوس « الزعامي » آخـــذ منها كل مأخذ . واشد ما يُبلى به العالم ان يبلغ هذا الهوس حداً يدفع اصحابه الى

لاقدام على حرب عالمية ، طمعاً بالابقاء على هذه الزعامة وتخليـد سرمديتها، كما صرّح علناً احد ملوك وول ستريت الآنف الذكر.

أننا إذ نقدم هذا الكتاب النفيس إلى العالم العربي، نتمنّى ان يكون حافزاً لشعوب هـذا العالم العزيز لـكي تعي أمْرَها ، ولا تقع في الاحبولة التي ينصبها لها الاستعمار ، فتضمن لنفسها السلامة ، وتقف متحدة بوجه من يطمعون بها ، وتسمع الى شهادة شاهدٍ من اهلهم ، ولا تقبل بان تكون كبش المحرقة في حربٍ يروّج لها دعاة الحرب وتجارها .

الدكتور جورج حنا

١ . نشوء الاستعمار الاميركي

ما هو الاستعمار ؟ وما هو الاستعمار الاميركي، على الخصوص؟ أهو سياسة العصا الغليظة التي نادى بها تيودور روزفلت * ؟ أهو الاستيلاء على المستعمرات ؟ اهو حروب العدوان والتوسع الاقليمي ؟ أهو مشروع مارشال ؟ أهو نمو الروح العسكرية واضطهاد الزنوج ؟

هذه كلها من عناصر الاستعمار . إنها تؤلف السياسات والاعمال الاستعمارية . ولكنّ الاستعمار شيء اكثر من ذلك . إنه مرحلة تاريخية من مراحل الرأسمالية . والواقع ان جميع الاعمال والسياسات تنبع من مرحلة التطور التي بلغتها الرأسمالية اليوم ، وهي اعلى مراحلها وآخرها .

لقد لخص لينين في كتابٍ له عوامل الاستعمار الاقتصادية الرئيسية على الوجه التالي :

(١) تركيز الانتاج ورأس المال الى درجة عالية جداً تؤدي آخر الأمر الى نشوء احتكارات تلعب دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية.

* يقصد سياسة الشدة وقلة المرونة التي اتبعها هذا الرئيس الاميركي في علاقاته مع دول اميركا اللاتينية وغيرها . [المعرب]

(٢) اندغام رأس المال المصرفي برأس المـال الصناعي ونشوء الاوليجاركية المالية * على اساسٍ من هذا الاندغام .

(٣) تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية .

(٤) تشكيل الاحتكارات الرأسمالية الدولية الـتي تتوزع خيرات العالم في ما بينها .

(٥) تقسيم العالم كله تقسيماً اقليمياً في ما بين الدول الرأسمالية الكبرى » **

فالاستعمار هو تلك المرحلة من الرأسمالية الـتي تسود فيها هذه العوامل والتي يرجع تاريخها الى اوائل هذا القرن .

ولكن من هم الاستعماريون الاميركيون ؟ ليس من ريب في ان الكثرة الغامرة من الاميركين لا يدَ لهـا في الاحتكارات الصناعية والمالية على اختلافها . فالمواطن العادي لا يملك رأس مال يستطيع ان يصدّره أو يفيد منه بطريقة أخرى . إنه لا يشارك في المحالفات الاقتصادية الدولية وليس له نصيب في الفتوح الخارجية .

إن الشعب الاميركي ليس استعمارياً . الاستعماريون في تلك الحفنه القليلة من الرجال الذين يملكون اميركة ويسيطرون عليها . إنهم أمراء المال من مثل مورغان Morgan، وروكفلر Rockefeller، وميلون Mellon ، والبطانة التي تحيط بهم ، وبعض رجال السياسة وقـادة الجيش ومحرري الصحف والمسؤولين عن شركات السينما

---

* الاوليجاركية نظام من الحكم تستبد بالسلطة العليا فيه فئة قليلة جداً من المواطنين . [المعرب]

**Lenin, Imperialism, The Highest Stage of Capitalism, p.89, N . Y . 1939.

الذين يأمرون بأمرهم . ومع ذلك فليس الاستعماريون الاميركيون غير قلة قليلة جداً . إنهم لا يختلفون عن شعب الولايات المتحدة فحسب بل هم الدّ اعداء هذا الشعب أيضاً . ومن عجبٍ انهم يخلعون على سياستهم الاستعمارية اسم « السياسة الاميركية » وكأنها تعبير عن ارادة الشعب كله ، وانهم يُلبسون العدوان في الخارج لباسَ الدفاع عن هذه البلاد والحفاظ على حريات شعبها المسالم !..

جذور التوسع الاستعماري

والحق ان الاستعمار الاميركي لم ينشأ فجاءة خلال نصف القرن الذي مضى . إنه ثمرة الاحداث التاريخية السابقة في الولايات المتحدة وفي العالم . فبعد انقضاء حرب الاستقلال أخذت الرأسمالية الاميركية في التوسع الاقليمي على حساب الهنود، والمكسيكيين، ومختلف الدول الاوروبية الاستعمارية . وهكذا اصبحت الولايات المتحدة دولة ضخمة قارّية الاتساع ، بعد ان كانت من قبل رقعةً من الارض صغيرةً تمتدّ على الساحل الشرقي .

وافتتحت الحربُ الاهلية عهداً جديداً . ففي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر نمت الصناعة في الولايات المتحدة بأسرع مما نمت في ايما بلدٍ آخر . وفي حين توسّع سادةُ الدول الاوروبية من طريق الاستعمار في ما وراء البحار والمحيطات، عُني رأسماليو الولايات المتحدة بالتوسع داخلَ حدود بلادهم السياسية . فبدلاً من ان يلتمس مالكو المصارف والسكك الحديدية والفولاذ والنفط مواردَ لهم في ما وراء البحار انتزعوا الاراضي من الهنود،

وحرموا المزارعين حقهم في فك ممتلكاتهم المرهونة ، وامتصوا ارباحاً اسطورية من طريق تجارة الرقيق في الولايات الجنوبية . ليس هذا فحسب ، بل لقد استوردوا العمال من اوروبة بالملايين ، واستخدموا مئات الالوف من المكسيكيين والصينيين والفيليبينيين في انشاء السكك الحديدية والمزارع الرأسمالية في البقاع الجنوبية الغربية بأجور بخسة واحوال من العمل غير ملائمة. وفوق هذا كله شيّد الرأسماليون الاميركيون ثرواتهم الأولى على آلام الملايين من الزنوج الذين اختُطفوا من ارجاء إفريقية وآلام ابنائهم وبناتهم في الاجيال التي تلت .

وبينما كانت الرأسمالية الاميركية تتوسع في الداخل قادت عمليةُ المنافسة التي ينطوي عليها النظام نفسه الى نزعة جديدة هي جمع البيوت التجارية المتناحرة وتكتيلها في منظمة واحدة تحتكر المادة وتتحكم في تعيين اسعارها .

وحوالي سنة ١٨٩٠ انتهى نمو الاحتكارات المختلفة وتكتلها الى ان يُنزلا أذى كبيراً بمصالح العمال والمزارعين وصغار التجار . حتى إذا هاج الرأي العام هياجاً كبيراً اضطرت الحكومة الى إصدار قانون يضع حداً لجمع الشركات الاستثمارية الكبرى في ما يُعرف بالكتل المتحدة او التروستات Trusts ؛ ولكن هذا التشريع (وقد اطلق عليه اسم قانون شيرمن المضاد للتروست *

* اعلن هذا القانون عدم شرعية « أي عقد أو اتحاد يتخذ شكل تروست أو أي شكل آخر ، أو أية مؤامرة من شأنها التضييق على الاتجار بين الولايات المختلفة أو بين الولايات المتحدة والدول الاجنبية . » [المعرب]

Sherman Anti-Trust Act) لم يكن فعالاً بالكلية لأن الحكومة الرأسمالية في الولايات المتحدة كانت ولا تزال تمثل أقوى الجماعات الرأسمالية في البلاد ، أي الشركات الاحتكارية نفسها التي يُفرَض فيها مكافحتها ...

أما اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي فقد استُهل بالدور الرئيسي الذي لعبه بيت مورغان المالي في تشكيل التروستات في حقلي الفولاذ والمعدات الكهربائية ، والدور الذي لعبه بنك ميلون في تشكيل تروست الالومنيوم ، وإقبال آل روكفلر على شراء اسهم الـ « ناشيونال سيتي بنك » وسيطرتهم على الـ « تشايس ناشيونال بنك » . ولم تدخل سنة ١٩٣٠ حتى كانت هنالك ثماني مجموعات مالية ضخمة تسيطر على ٦٢ بالمائة من صناعات الولايات المتحدة الثقيلة ، ووسائل مواصلاتها ومصارفها ، كما جاء في تقرير رسمي اصدرته الحكومة الاميركية نفسها * .

وهذا الوضع قاد الى تجمّع الرساميل تجمعاً فاحشاً في أيدٍ قليلة جداً . وإذ كان قانون الرأسمالية هو الكسب المستمر فقد تعيّن على الشركات الاحتكارية ان تبحث عن حقول جديدة توظف فيها رساميلها الفائضة . ومن هنا التمس اصحاب الرساميل المالية الاميركية مصادرَ للربح خارج حدود الولايات المتحدة القارية . وهكذا اخذت الولايات المتحدة تصدّر رأس المال الى البلدان الاجنبية وهي التي كانت من قبلُ بلداً يستورد رؤوس

---

* U. S. National Resources Committee, The Structure of the American Economy, Part 1.p. 317, Washington, 1939.

الأموال من الخارج .

ولم تكد الشركات الاميركية تغزو البلدان الاجنبية حتى عملت على اقتسام الممتلكات والأسواق فيما بينها وبين زميلاتها الأوروبية . فمنذ اوائل القرن الحالي اقتسمت كتلة روكفلر المتحدة منابع النفط المعروفة آنذاك واسواقه العالمية فيما بينها وبين شركات روتشيلد ونوبل . كما اقتسمت شركة « جنرال ايلكتريك » التي يسيطر عليها بيت مورغان المالي اسواق المعدات الكهربائية في العالم مع شركة « جنرال ايلكتريك » الالمانية المعروفة بالـ A.E.G. .

ويقضي منطق الاستعمار بأن تستتبع السيطرة الاقتصادية سيطرةً سياسية وعسكرية . فلا عجب اذا ما وجدنا الدول الاستعمارية الكبرى تسارع ، خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، إلى بسط سلطانها السياسي والعسكري على مناطق مختلفة من العالم لكي تمكّن شركاتها الاحتكارية من استثمار تلك المناطق على هواها . ولم يكد ذلك القرن يؤذن بالانصرام حتى كانت الدول الاوروبية قد استعمرت بصورة رسمية كامل افريقية تقريباً والشرق الاقصى باستثناء الصين ، في حين امست الصين نفسها ، وسائر آسية ، واميركة اللاتينية مناطق نفوذ للرساميل الأوروبية . اما الولايات المتحدة فلم تهيمن ، قبل سنة ١٨٩٨ ، إلا على آلاسكا ، وهاوايي ، وجزء من جزائر ساموّا .

وهكذا نجد ان عوامل الاستعمار الرئيسية الخمسة التي نصّ عليها لينين قد نشأت في الولايات المتحدة وكان نشوؤها على نطاق

عالميّ . وتلك هي جذور سياسات الحرب والكسب في الخارج ، والرجعية والتعصب القومي في الداخل ، هذه السياسات التي تُعتبر من ابرز خصائص الاستعمار ومميزاته . وقد مهّد هذا كله السبيل امام كايزر ، وسيسل رودس ، وثيودور روزفلت وغيرهم من بنـاة الامبراطورية الاميركية الذين كانوا يمثلون الجبهة السياسية للرساميل المالية .

والواقع أن عضو مجلس الشيوخ ألبرت بفريدج ، أحد دعاة الاستعمار الاميركي الأولين ، وصف سياسة التوسع هذه حين قال في خطاب القاه سنة ١٨٩٨ :

« إن المصانع الاميركية تنتج اليوم اكثر مما يستطيع الشعب الاميركي ان يستهلك ، والتربة الاميركية تنتج كذلك اكثر مما نستطيع ان نستهلك. ومن هنا نرى ان القدر قد رسم لنا سياستنا: إن تجارة العالم يجب ان تكون بيـــدنا ؛ وليس من شك في اننا سنستولي عليها كما علـّمتنا أمّنا ، انكلترة ، أن نفعل . ولسوف ننشىء قواعد تجارية في ارجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الاميركية. وسنملأ ماء المحيط باسطولنا التجاري . وستنهض حول مراكز تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها ولكنها ترفع علمنا وتتاجر معنا ... * »

وليس من شك في أن العمال في المصانع والمزارع الاميركية لم يُنتجوا في يوم من الايام ، ما يسدّ حاجة الشعب . ولكنهم انتجوا خلال الخمسين السنة الماضية اكثر بكثير مما أجازت الرأسمالية

* Quincy Howe , A World History of Our Own Times, pp.128- 29, N.Y.,1949.

للشعب ان يستهلكه . والمحاولةُ الاستعمارية لحلّ هذا التناقض إنما تتمثل في ما اقترحه بيفريدج الناطق باسم الرأسمالية .

طرائق التوسع الاستعماري

لقد نُشّيء الشعب الاميركي على الاسطورة القائلة بان جيوش الولايات المتحدة غير عدوانية nonaggressive ، وان المشاريع التجارية الاميركية تغزو العالم من طريق المنافسة السلمية وخدمة المستهلكين . وإنما اهدف في هذا الكتاب الى تقويض هـــذه الاسطورة واصفاً طرائق العمل التي تصطنعها بيوتات وول ستريت* Wall Street وصفاً تفصيلياً دقيقاً .

والحقّ ان استخدام القوة العسكرية استخداماً عدوانياً كان ولا يزال هو الوسيلة الرئيسية التي تعتمدها الولايات المتحـدة في توسعها الاستعماري . ففي سنة ١٨٩٨ شنت الولايات المتحدة حرباً استعمارية لأعادة تقسيم العالم ؛ وكانت هذه الحرب ثانوية خاضتهـا ضد عدوٍ مستضعف ، هو اسبانية . ومع ذلك فقد كانت غنيمتها

* حي المال في مدينة نيويورك وهو يسيطر كما سنرى على الحياة الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة سيطرة شبه كاملة . يدلك على ذلك ما قالته ماري ليز احدى زعيمات الحزب الشعبي Populist Party المطالب بحقوق المزارعين: « ان وول ستريت يملك هذه البلاد . فلم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب ، بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت ... والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالخرق البالية . »

[المعرب]

ضخمة هائلة : — استولت على الفيليبين وبورتو ريكو ؛ وسيطرت بصورة غير رسمية على كوبا ؛ وكسبت منطقة نفوذٍ واسعة تشمل القسم الشمالي من اميركا الجنوبية وكامـــل اميركا الوسطى ؛ وبسطت سلطانها العسكري على بحر الكاريبيان وعلى كثير من القواعد المهمة في المحيط الهادىء . ليس هذا فحسب ، بل لقد امتد نفوذ الولايات المتحدة المتعاظم ، منذ ذلك الحين ، تعاظماً كبيراً الى بـــلدان اميركا اللاتينية حيث كانت الرساميل البريطانيـــة والفرنسية هي صاحبة اليد العليا .

ولم تكن الحرب ضد اسبانية غير بداية متواضعة . ذلك بان شعوب تلك البلاد التي بسطت اميركا سلطانها عليها لم تكن راغبة في ان تستبدل بمستثمريها الانكليز او الاسبان مستثمرين جدداً من وول ستريت . فما كان من امراء الاستعمار الاميركي إلا ان خاضوا غمرات الحروب العدوانية او التدخل المسلح ضد شعوب الفيليبين ، والمكسيك ، وكوبا ، ونيكاراغوا ، وباناما ، وهايتي ، وكولومبيا ، والجمهورية الدومينيكية ، وكوستاريكا ، وهوندوراس ، والصين .

وإنما يتجلى الدور الذي لعبته القوة العسكرية في تدعيم سيطرة وول ستريت الاقتصادية على البلدان نصف المستعمرة في هـــذه الكلمات التي لخص فيها الميجور جنرال سمدلي بتلر حياته العسكرية :

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي ، كنت في معظمها اشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى ...

« وهكذا ساعدتُ على جعل المكسيك مكاناً آمناً لشركات البترول الاميركية ، سنة ١٩١٤ ؛ وعلى جعل هايتي وكوبا ارضاً يستطيع الـ « ناشيونال سيتي بنك » استغلالها ... ومهدتُ السبيل أمام بنك الاخوة براون لاستثمار نيكاراغوا سنة ١٩٠٩–١٩١٢ . وفتحتُ ابواب الجمهورية الدومينيكية في وجه شركات السكّر الاميركية ، سنة ١٩١٦ . . . أما في الصين فقد ساعدتُ شركة ستاندرد اويل على ان تشق طريقها ، سنة ١٩٢٧ ، في سهولة ويُسر . » *

وإذا كانت الامبراطورية الاميركية قد استهلت حياتها بالحرب والعدوان فقد حققت نموّها الأعظم بالطريقة الدامية نفسها . والواقع ان جميع ما كسبه الاستعمار الاميركي بعد ذلك ، تقريباً ، ناشيء عن الدور الذي مثلته في الحربين العالميتين الاولى والثانية وعن اعمالها وتهديداتها العسكرية في السنوات التي عقبت الحرب العالمية الثانية .

ولكن التوسع الاميركي لم يُحقّق كله بالطرائق العسكرية . فقد لعب الضغط الاقتصادي دوره المهم في ذلك ايضاً . وهذا الضغط يشمل ، في ما يشمل : (١) تقديم القروض الى البلدان المستضعفة والتي خرّبتها الحرب ، بشروط مناسبة للشركات الاميركية . (٢) عقد الاتفاقات التجارية التي تحظر حماية الصناعات في الدول المستضعفة من خطر الاحتكارات الاميركية الضخمة . (٣) منع السفن من السفر الى بعض البلدان وشنّ الحرب على

---

* Smedley D. Butler in Common Sense, Nov., 1935.

عملاتها الرسمية . (٤) تقوية العناصر الرجعية في البلدان الاخرى لكي تستطيع خدمة مصالح وول ستريت الواسعة . (٥) عقد المعاهدات التي تمكّن الشركات الاميركية من الاستيلاء على موارد الشعوب الاخرى استيلاءً غير محدود . (٦) التدخل الديبلوماسي لانتزاع الامتيازات لمصلحة شركات اميركية بعينها (٧) تعيين المستشارين الماليين الاميركيين وجامعي الضرائب ابتغاء السيطرة على مالية البلدان الضعيفة .

وطبيعي أن تسير الطرائق العسكرية والطرائق الاقتصادية جنباً الى جنب . ذلك بان قوة الاستعمار الاميركي الاقتصادية تقدّم الأساس الذي تقوم عليه قوته العسكرية . في حين ان الضغط الاقتصادي او الديبلوماسي لا يجدي إلا اذا دعمه تدخل عسكري أو تهديد باللجوء الى مثل هذا التدخل . وهكذا تلتقي جميع الأساليب في خطة توسعية عامة تكون « سلمية » حيناً ، وشبه حربية حيناً ، ولكنها موجهة ابداً ضد شعوب البلدان التي يتفق ان تقع ضحية المطامع الاميركية .

وتتعاون الكتل الاحتكارية المتحدة او التروستات اوثق التعاون مع الحكومة المركزية على تحقيق هذا البرنامج . والواقع ان الشخصيات السياسية والعسكرية كثيراً ما تتناوب المناصب الكبرى في وول ستريت وواشنطون . وهكذا نرى الدوائر الحكومية تتولى زمام السلطة الاقتصادية في بعض الأوقات ، على حين تمارس البيوتات المالية الكبرى هذه السلطة ، بصورة مباشرة ، في اوقات اخرى. اما السلطة العسكرية فتمارسها الحكومة عادةً ،

ولكن بعض الشركات الكبرى قد تمارسها احياناً بصورة مباشرة من طريق القوى المسلحة والحكومات المطواعة التي تقيمها في البلدان الخاضعة لسلطانها .

والحق ان ستراتيجية الولايات المتحدة الاستعمارية إنما أريد بها ان تحقق اهدافها بأدنى ثمن ممكن وذلك من طريق تسخير الحلفاء، ورشوة الاعداء . إنها توجه ضربتها ، في المحل الاول، الى جماعات الشعب العاملة والى الحركات التحررية الوطنية في البلدان المستعمَرة ونصف المستعمَرة . إنها تتحالف مع أكثر الطبقات رجعيةً في تلك البلاد ، ومع طبقة الاقطاعيين عادةً ، كما تتحالف مع الدول الاستعمارية المنافسة لها ايضاً . واكثر هذه المحالفات استمراراً التحالف الانكليزي الاميركي الذي لعب دوراً بارزاً في الحرب الاسبانية الاميركية،وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية، وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية .

اشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري

يزعم المدافعون عن وول ستريت ان الولايات المتحدة ليست دولة استعمارية لأنها لا تملك امبراطورية استعمارية ضخمة كالامبراطورية البريطانية.وإنه في الواقع لدفاعٌ خاسر يحاول ان يخلط ما بين الشكل والجوهر . ذلك ان جوهر الاستعمار هو فرْض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على الشعوب المستضعفة . اما أشكال الاستعمار فتشمل ضم البلد المغلوب على امره الى اراضي البلد الفاتح ، وإنشاء المستعمرات ، وإقامة الحكومات

المستقلة اسمياً والخاضعة للدولة الاستعمارية عملياً . وهـذا الضرب الاخير هو شكل الحكم نصف الاستعماري .

وهناك بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات اشكال انتقالية مختلفة ، منها الانتداب ، والوصاية ، والدومنيون . وحتى الفارقُ الرسمي بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات ليس كبيراً دائماً . وهكذا نجـــد البريطانيين يلجأون في مستعمراتهم الى الاستعانة بالقوات الوطنية وبالامراء الوطنيين والمجالس المحلية ما دام هؤلاء دُمىً متحركةً في ايديهـــم ، فعلَ الولايات المتحدة في أنصاف المستعمرات الخاضعة لها . بل إن شكل الحكم الاستعماري ليس دائماً اكثر استبداداً ولا أبشع استغلالاً من شكل الحكم نصف الاستعماري . ومن هنـــا نرى ان الوَضْع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لسكان المستعمرات البريطانية في جزائر الهند الغربية ليس عـــلى التحقيق اسوأ من وَضْع سكان أنصاف المستعمرات الاميركية في اميركة الوسطى وبحر الكاريبيان .

وليس من ريب في ان الولايات المتحدة عملت عـــلى انتزاع المستعمرات بالقسوة نفسها الـتي تصطنعها الدول الاوروبية ، حيثما وجدَتْ ذلك مناسباً وميسوراً ، شأنها في بورتوريكو ، وهاوايي ، والجزر العذراء ، وآلاسكا ، ومختلف جزر المحيط الهادىء ، وحتى وقتٍ قريبٍ في الفيليبين . وبعـــد الحرب العالمية الثانية فقدت الولايات المتحدة جزءاً من امبراطوريتها الاستعمارية نتيجةَ منحها « الاستقلال » للفيليبين ، ولكنها توسعت بالفعل ، بما ضمّت اليها من جزائر مختلفة في المحيط الهادىء ، وتوسّعت ، بالقوة potentially

من طريق احتلالها المانية الغربية واليابان احتلالاً عسكرياً .

بيد ان الاستعمار الاميركي لم يلجأ ، في معظم البلدان التي خضعت له ، الى اشكال الحكم الاستعمارية ، لان شكل الحكم نصف الاستعماري المستقل استقلالاً اسمياً أثبت انه اكثر مرونة وأدعى الى اعطاء الاستعمار الاميركي ميزة على الاستعمار الاوروبي المنافس . أضف الى ذلك ان أمراء وول ستريت الاستعماريين اضطروا الى ان يُدخلوا في حسابهم تقاليد الشعب الاميركي الديموقراطية ، هذا الشعب الذي اشترى حريته بما سفك من دماء في حرب ثورية شنها على مستعمريه ؛ وان المزارعين والطبقات الوسطى من اهل المدن اخذت تقاوم ، في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، سلطان وول ستريت وشركاته الاحتكارية الجشعة .

وهكذا آثر الاستعمار الاميركي ان يصطنع اشكالاً جديدة من الحكم الاستعماري وعمد رجاله الى تضليل الرأي العام ، فقالوا ان هذه البلاد ، الولايات المتحدة ، لا تطمع في مغانم إقليمية ، ولكنها حريصة على رفاهية الشعوب الخاضعة لسلطانها ، ليس غير!

ومنذ الحرب العالمية الثانية وأمراء وول ستريت يُفيدون إفادة خاصة من هذه النغمة اللا إستعمارية المضللة . إنهم يحاولون ان يتوسعوا ، تحت هذا القناع ، في كل مكان . وان واشنطون لتسعى الى استغلال حركة التحرير المضطرمة نيرانها في آسية كلها ، كما استغلت قبل خمسين سنة نزعات التحرر في المستعمرات الاسبانية.

ومن سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ والخطة الاميركية الرئيسية

تقوم على مدّ المستعمرين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين بالمال والسلاح ابتغاء القضاء على حركات التحرر الوطني في المستعمرات في حين تقضي بالعمل من وراء حجاب على إنشاء حكومات « مستقلة » تنبري لانقاذ البلاد من الشركات الاستعمارية الاوروبية وإحلال الشركات الاميركية محلها . وقد استُعملت طرائق مشابهة في اوروبة التي غدت اليوم هدفاً مباشراً من اهداف وول ستريت الكثيرة .

حتى اذا كانت سنة ١٩٥٠ صار اصطناع هذه الأساليب امراً اكثر صعوبة واشد عسراً . ذلك بان شعوب البلدان المعنية ما عادت تُخدع بأقنعة الاستعمار على اختلافها. وفي آسية على الخصوص عزّزت هذه الشعوب تنظيمها وقوتها العسكرية ورفعت النضال التحريري الوطني في سبيل الارض ، والقدر الكافي من الطعام ، والاستقلال الصحيح الى درجة عجزت معها الحكومات العاملة بوحي الاستعمار عن الصمود في الميدان فاذا هي تبدو على حقيقتها من الافلاس والفساد . وهكذا دشنت اميركة خطة توسعية جديدة ، في كوريا ، فاستخدمت قواتها المسلحة ، تعاونها قوات الدول الاوروبية الاستعمارية ، بوصفها الأداة الرئيسية لفرض الاوضاع الاستعمارية وتخليدها أبدَ الدهر .

٢ - امبراطورية وول ستريت ...

كثيراً ما تُسمع في غرف اللجان البرلمانية بواشنطون شهادات صريحة حول الاحتكارات الضخمة والمشكلات التي يواجهها صغار التجار ، فينبري ممثلو الامة الى الهجوم على تلك الكتل الاحتكارية وأساليبها في العمل ، ويصوّرون المصير المحزن الذي ينتظر صغار التجار ، حتى إذا خُيّل لهم انهم أرضوا رغبات الرأي العام رجعوا الى جدول الاعمال فأقروا مجموعة من التشريعات الموحى بها من تلك التروستات نفسها ...

ومهما يكن من أمر فان هذه المناقشات تمر مر الكرام باخطر ما تقوم به هذه التروستات الكبرى من نشاط ، أعني مناوراتها الدولية الخطيرة . فبينا تجد عدداً من رجال الكونغرس يخذلون هذه التروستات في بعض مشاريعها الداخلية نرى قليلاً منهم يجرأون على خذلانها في مصالحها الخارجية التي تُجَلّل عادةً بالراية الاميركية . وعضو مجلس الشيوخ الذي يصوت ، يوم الاثنين مثلاً ، ضد التروستات العملاقة هو نفسه الذي يعطي صوته ، يوم الثلاثاء ، لامبراطورياتها العالمية الواسعة باسم « المعونة الدولية » او « الدفاع الوطني » .

والواقع انه ليس في حقل « الشؤون الخارجية » او « السياسة العسكرية» ما لا يتصل بأخص مصالح الشركات المتكتلة وأجشعها. ففي جميع اجزاء العالم، من تشيلي الى غواتيمالا، ومن اليونان الى المانيا، ومن كوريا الى ليبيريا، حيث تتدخل الحكومة الاميركية عسكرياً او ديبلوماسياً باسم « الحرية » او « مقاومة الشيوعية » يكون الدافع الحقيقي هو النحاس او الفاكهة، النفط او الصناعة الثقيلة، الذهب او المطاط . . .

والسذّج من الاميركيين الذين يعتقدون اننا لا نملك امبراطورية استعمارية ضخمة ينسون ان شركاتنا الاستثمارية تملك اضخم امبراطورية مالية عرفها التاريخ. وان الغرض الذي تهدف اليه سياسة الحكومة عندنا هو توطيد سلطانها السياسي وتوسيع رقعته لكي تمكّن من وراء ذلك لهذه الامبراطورية المالية وتزيدها قوةً وبَسْطةً.

وإذا كانت الصناعة الاميركية مصفدة بأغلال الاحتكار فأن تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية خاضع لاحتكار أدهى وأمر.

وتفصيل ذلك ان بضع مئات من الشركات تسيطر على الاقتصاد الوطني في داخل الولايات المتحدة. ولكن قلة قليلة من هذه الشركات تملك من القوة الاقتصادية والسياسية ما يمكنها من ان تنتزع ممتلكات اجنبية واسعة، وتحصل على الارباح الخاصة التي تنشأ عن انخفاض مستوى الاجور في المستعمرات والبلدان الاجنبية، وتتخلص من مزاحمة الشركات البريطانية والالمانية وغيرها من التروستات الاستعمارية، وتهيمن على الحياة السياسية في بلدانٍ برمتها،

كجزء لا يتجزأ من الخطة الرامية الى فرض السيطرة الاقتصادية عليهـــا .

ففي سنة ١٩٤٣ كانت ثمة مائة شركة اميركية كبرى تملك ٧٠٪ من موجودات مختلف المشروعات الخارجية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة * . ولكنّ امواج السياسة الدولية كانت أعتى من ان تطيقها معظم هذه الشركات في ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي سنة ١٩٤٧ استأثرت عشر شركات بتصدير مـا يزيد عـلى ٧٥ ٪ من الرساميل الجديدة الى البلدان الاجنبية **

وليس من ريب في ان حاجات هذه التروستات العشر ومطالبها مسؤولة" الى حدّ بعيد عن مختلف التطورات الـتي طرأت عـــلى السياسة الخـارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . وإذن فمن الضروريّ ان ندرس المركز العالمي الذي تتمتع به كبريات الشركات الاميركية واقتسامها الصناعة والموارد العالمية في ما بينها وبين زميلاتها البريطانية والهولندية والفرنسية وغيرها .

وإنمـا يتجلّى اقتسام العالم وتوزعه بـين التروستات الكبرى اوضح ما يتجلى في المواد الصناعية الأساسية : النفط والمعادن . وهـــذه المنتجات تُستَخرج (وتصفّى في بعض الاحيـان) في المستعمرات وانصاف المستعمرات ثم تُحمل الى المراكز الامبراطورية حيث تُعَدّ في اشكالها النهائية ومن ثمّ تُباع في الاسواق العالمية..

---

* U. S. Treasury Dept. , Census of American-Owned Assets in Foreign Countries, p. 29, 1947.

** U. S. Dept of Commerce, Survey of Current Business, Nov., 1949, p. 20.

شركات النفط المتحدة تقتسم العالم في ما بينها

تحتلّ شركة ستاندرد أويـــل (نيو جيرزي) أكبر جزء من امبراطورية روكفلر النفطية. وقد انتجت هذه الشركة او سيطرت على خمس ما أنتجه العالم الرأسمالي كله من النفط في سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ تقريباً. والحقّ انها اصدرت سنة ١٩٤٩ خريطةً للعالم تمثل مناطق إنتاج النفط الاربع عشرة الـــتي تهيمن عليها ، ومواقع مصافيها الاربعين ، وعدداً لا يُحصى من اسواقها الواسعة . وقد تعجب إذا علمت ان المناطق المظلّلة باللون الاخضر والتي ترمز الى اسواق هذه الشركة العالمية تمثّل مواطن يبلغ مجموع سكانها ١،٦٧٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة أي ٧٢٪ من مجموع سكان العالم كله . وإذا استثنينا من هذه الرقعة الجزء الاكبر من الصين وشمالي كوريا، بلغ مجموع سكان الاسواق التي تسيطر عليها شركة ستاندرد اويل اوف نيو جيرزي ١،٢٦٢،٠٠٠،٠٠٠ نسمة او ٨٠٪ من السكان في العالم الخاضع لسلطان الرأسمالية .

واليك فيما يلي جدولاً بيانياً باسواق هذه الشركة الهائلة ونسبتها الى اسواق الشركات الرأسمالية مجتمعةً ، كما كانت سنة ١٩٤٩ :

	عدد السكان (بالملايين) مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
اميركة الشمالية بكاملها	١١٣	٢٠٦	٥٥ بالمئة
الولايات المتحدة وحدها	٧٤	١٤٤	٥٢ »
اميركة الجنوبية	٩٦	١٠٣	٩٣ »
اوروبة	٢٣٩	٢٩٧	٨٠ »

	مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
آسية	٧١٨	٧٦٧	٩٤ بالمئة
اوقيانوسية	١٢	١٢	١٠٠ »
إفريقية	٨٤	١٨٨	٤٥ »
العالم (الرأسمالي)	١٢٦٢	١٥٧٣	٨٠ »

ولا تنفرد شركة ستاندرد أويل بحق العمل في معظم هذه المناطق. فهي تتقاسمها مع واحدة او اكثر من التروستات الأخرى ، على اساسٍ من توزّع الاسواق وتحديد الأسعار بالاتفاق . والواقع ان العالم الرأسمالي تكاد تتوزعه كله سبعٌ من تروستات النفط ، يملك آل روكفلر ثلاثاً منها ، ويملك « ميلون » Mellon واحدة ، وتملك الخامسة شركاتٌ اميركية اخرى ، اما السادسة فبريطانية ، واما السابعة فبريطانية هولندية . *

وقد تنفرد كل من هذه التروستات في العمل حيناً . فشركة ستاندارد اويل (نيوجيرزي) مثلاً تسيطر على انتاج البترول في كولومبيا بواسطة شركة مساعدة هي التروبيكال أويل كومباني . وقد تنهض ببعض المشروعات الاخرى شركات خاصة تندمج فيها مصالح اثنتين او اكثر من الكتل السبع الكبرى . وهكذا فان امتياز النفط في المملكة العربية السعودية تملكه شركة البترول

* وهذه التروستات السبع هي : (١) ستاندارد اويل اوف نيو جيرزي (روكفلر) (٢) شركة شل (رساميل هولندية بريطانية) ؛ (٣) شركة النفط الانكلو ايرانية (بريطانية) ؛ (٤) شركة سوكوني فاكيوم (روكفلر) ؛ (٥) شركة تكساس (روكفلر ، ومورغان ، وغيرهما) ؛ (٦) ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا (روكفلر وغيره) ؛ (٧) شركة نفط الخليج (ميلون) .

العربية الاميركية (آرامكو) التي تسهم فيها اربع من شركات الولايات المتحدة الكبرى * وهذه الشركات الاربع تجتمع مع مجموعة شل الهولندية في شركة خاصة تملك امتياز النفط في غينيا الجديدة . في حين تجتمع شركة نفط الخليج وشركة النفط الانكلو ايرانية في شركة بترول الكويت .

وفي سنة ١٩٣٩ كانت هذه الشركات السبع تهيمن على ثمانين بالمائة من مجموع انتاج البترول خارج الولايات المتحدة والمكسيك والاتحاد السوفياتي . وقد تعاظمت حصتها منذ ذلك الحين .

شركات المعادن الدولية

وتتوزع انتاج النحاس في العالم الرأسمالي ثلاث شركات اميركية كبرى وعدد من الشركات البريطانية والبلجيكية . اما الثلاث الاميركية الكبرى (شركة آناكوندا للنحاس Anaconda Copper وشركة كنيكوت للنحاس Kennecott Copper وشركة فلبس دودج Phelps Dodge) فتسيطر على ثلاثة ارباع احتياطي النحاس في الولايات المتحدة ، وعلى ثلث النحاس في العالم الرأسمالي خارج الولايات المتحدة .

ويؤخذ من تقرير اصدرته لجنة التجارة الفدرالية ان ثمة ستة رجال « يسيطرون بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة على سياسة انتاج النحاس العالمي وتقرير اسعاره »** واليك اسماء هؤلاء

* هي ستاندرد اويل (كاليفورنيا) وشركة تكساس ، وستاندرد اويل (نيو جيرزي) ، وشركة سوكوني فاكيوم.

**Report of the Federal Trade Commission on the Copper Industry, pp. 174 ff., 1947 .

الرجال الستة والشركات التي يمثلونها :

كورنيليوس كيلي (شركة آنا كوندا) ؛ **إ.ت. ستاناورد** (شركة كنيكوت) ؛ **فرد سيرلز الصغير** (خبير شركة مورغان في التعدين والنفط ، ونائب رئيس شركة نيومونت للتعدين) ؛ **آ. تشاستر بيتي** (مناجم النحاس الروديسيّة) ؛ **روبرت ستانلي** (شركة النيكل الدولية) ؛ واخيراً **لويس كايتس** (شركة فلبس دودج) .

وهؤلاء الرجال يتنافسون على انتزاع حصة الأسد ، ولكنهم يلتقون ويتعاونون على استغلال العمال الذين ينتجون النحاس ابشع ما يكون الاستغلال ، وعلى إقامة العراقيل في وجه جميع الدخلاء الراغبين في ان تكون لهم حصة في ذلك الاستثمار .

وخمسة من هؤلاء الرجال الستة اميركيون ، وواحد بريطاني (آ. تشاستر بيتي) . وهذا دليل لا يُتّهَم على ان وول ستريت يسيطر على شركات النحاس الدولية سيطرةً شبه كاملة . واذا كان آل روكفلر يسيطرون على النفط فأنّ بيت مورغان الماليّ هو المسيطر على صناعة النحاس . فمنذ سنة ١٩٤٥ ومورغان وشركاؤه والمصارف المتحالفة معه يملكون ست عشرة مديرية في شركات النحاس الكبرى، في حين يملك الـ « تشايس ناشيونال بنك » الذي تسيطر عليه مجموعة روكفلر سبع مديريات ليس غير .

ومَثَلُ فرَدْ سيرلز الصغير ، احد الرجال الستة الذين اشرنا اليهم آنفاً،يصوّر لك مدى اندغام الحكومة الاميركية بالشركات الاستثمارية والمصارف الكبرى . ففي اثناء الحرب العالمية الثانية

كان هذا الرجل يحتلّ عدة مناصب رئيسية تهمّ بيت مورغان المالي الى حدّ بعيد . وكان احدها منصب « مستشار الانتاج » لجيمس برنز الذي كان يومذاك مديراً لمكتب التعبئة الحربية . وفي سنة ١٩٤٦ عندما اسندت وزارة الخارجية الى المستر برنز فزع زعماء افريقيا الجنوبيةالغربية الى منظمة الامم المتحدة والتمسوا مساعدتها في صراعهم للتحرر من نير المستعمرين العرقيين في جنوبي افريقية. فما كان من مندوبي الولايات المتحدة في تلك المنظمة إلا ان قاموا بحملة تخريبية حالت دون نصرة الزعماء الافريقيين . وقد كافأت حكومة جنوبي إفريقية المستعمرين البريطانيين والاميركيين على موقفهم ذاك بان عهدت اليهم في استثمار مناجم النحاس الغنية في جنوب غربي إفريقية ، وكانت تستثمرها من قبل شركة المانية صودرت اثناء الحرب العالمية الثانية . اما حصة بيت مورغان المالي وشركة نيومونت للتعدين * فكانت ثلثي الاسهم ليس غير . . . ومن طريق توظيف مليون دولار نقداً في هذا المشروع استطاع المساهمون البريطانيون والاميركيون الجدد ان يجنوا ارباحاً صافية بلغت تسعة ملايين دولار في ثلاث سنوات .... وفي سنة ١٩٤٧ ترك جيمس برنز وزارة الخارجية ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى عيّن مديراً لشركة نيومونت للتعدين !

وهذا التعقيد الذي نراه في تنظيم احتكار النحاس العالمي لا اثر له في احتكار النيكل . فهناك شركة واحدة ، هي شركة النيكل الدولية ، تنتج خمسة اسداس النيكل في العالم الرأسمالي كله. وبدلاً

(*) اللذين يعمل فرد سيرلز لحسابها .. [المعرب]

من ان تنبري سائر المجموعات الأميركية والبريطانية والكندية الى تنظيم شركات مستقلة ، نراها توازن قواها من طريق امتـلاك الأسهم والتنافس على المديريات في هذه الشركة المفردة. وهنا ايضاً تحظى الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر من الغنيمة . ففي اواخر سنة ١٩٤٩ كان الأميركيون يحتلون رئاسة اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية وسبعة مقاعد من تسعةٍ تتألف منها هذه اللجنة . والواقع انجون فوستر دالز* احد الكواكب اللامعة في السياسة الخارجية الأميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية هو مـدير اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية واحـد اعضائها ، ورئيس مكتب سوليفـان وكرومويل القانوني الذي تعتمده الشركة وتستشيره في كلّ مُهمٍّ من امرها .

اما الالومنيوم فتستبد به مجموعة رأسمالية واحـدة هي اسر ميلون Mellon . وهذه الشركة العائلية (شركة الالومنيـوم الاميركية Aluminum Corp. of America وتعرف اختصاراً باسم آلكووا Alcoa) تُسيطر على القسم الاعظم من إنتاج الالومنيوم العالمي من طريق سيادتها المطلقة على هـذا الميدان ، في الولايات المتحدة وكندا ، وسلطانها على الشركات النرويجية والايطالية ، وامتلاكها لحقول مادة البوكسيت في غينيا البريطانية والهولندية، وفي يوغوسلافية وفرنسة . وتعاظمَ نموّ « آلكووا » تعاظماً هائلاً اثناء الحرب العالمية الثانية عندما اخذ انتاج الطائرات الحربيـة يستهلك مقادير قياسيةً من الالومنيوم . وفي الوقت نفسه أزيحت من الميدان ، موقتاً ، منافستها العالمية الرئيسية أعـني تروست

* وهو وزير الخارجية الاميركية الحالي . [المعرب]

الالومنيوم الالمانية. والواقع ان إنتاج شركة «آلكووا» تضاعف ثلاث مرات في ما بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٨ ، وان حصتها من مجموع انتاج العالم الرأسمالي ازدادت من ٤٠ ٪ الى ٦٥ ٪ ، على الرغم من ان شركتين جديدتين ، كايزر Kaiser ورينولدس Reynolds ، اقتحمتا ميدان إنتاج الالومنيوم في الولايات المتحدة. وبانشاء هاتين الشركتين صارت الرساميل الاميركية تهيمن على نحو ٨٥ ٪ من مجموع إنتاج الالومنيوم الاولي في العالم الرأسمالي.

الامبراطوريات الصناعية

ولكن سلطان الشركات الاميركية الكبرى في البلدان الاجنبية ليس مقصوراً على إستخراج المواد الخام وإعدادها للاستهلاك إعداداً اولياً ، فالاحتكارات الصناعية الضخمة تغرق اسواق العالم بمنتجاتها ايضاً. والواقع ان مصانع فورد وجنرال موتورز اخرجت وحدها ٤٠ ٪ من مجموع انتاج السيارات في العالم الرأسمالي كله ، باستثناء الولايات المتحدة، سنة ١٩٤٨ . ولجميع المصانع الاميركية الكبرى تقريباً مصانع فرعية منشورة في طول العالم الرأسمالي وعرضه.

والمركز المتفوق الذي تحتله مجموعة مورغان في الصناعات الكهربائية بالولايات المتحدة — ابتداء من الراديو الى مولد الطاقة ومن البراد الى التلفون — معروف مشهور . وهذه الامبراطورية تنتظم العالم بأسره او تكاد .

وواسطة العقد في امبراطورية مورغان العالمية هي شركة جنرال اليكتريك ، اقوى التروستات الاميركية في ميدان الكهرباء .

والواقع ان هذه الشركة العملاقة تملك ما يتراوح بين ١٥ ٪ و ٤٩ ٪ من اسهم الشركات الكبرى المنتجة للمعدات الكهربائية في اليابان ، وألمانية ، وفرنسة ، ومراكش، وانكلترة، وايطالية. كما تملك نسباً اخرى متفاوتة من اسهم الشركات المنتجة للمعدات الكهربائية في النمسا ، وبلجيكة ، وتشيلي، وهولندة ، واسبانية، والسويد ، وتركية . اما في الارجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك واوروغواي ، وجنوبي افريقية ، والصين فتملك مصانع لانتاج المعدات الكهربائية لا يشاركها فيها احد .

ولا يزال توسع « جنرال ايلكتريك » الخارجي ينمو في اطراد. وقد بلغت الرساميل الجديدة التي وظفتها في البلدان الخارجية خلال السنوات الاربع التي عقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ٨٥ مليون دولار . (نحو ربع مجموع الاموال التي وظفتها الشركة في تلك المدة نفسها .)

نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

لقد درسنا الى الآن اقتسام ملكية المشروعات الصناعية من طريق تصدير الشركات الكبرى لرأس المال. فلننظر هنا في ظاهرة جديدة من ظواهر الاستعمار البارزة وهي اقتسام اسواق العالم الرأسمالي من طريق نظام المحالفات الاقتصادية الدولية Cartel System . وقد تختلف هذه المحالفات في طرائقها ولكنها تلتقي جميعاً عند اصول ومبادىء لا تعدوها .

اما اول هذه المبادىء فالاحتفاظ بأسعار احتكارية مرتفعة .

وثانيها احتكار الاسرار التقنية technical في ما بين الشركات التي تنتظمها المحالفة . وثالثها تعديل الانتاج من طريق أنصبة (كوتا) متفق عليها ومبنية على اساس من حالة الاسواق في العالم الرأسمالي. اما رابع هذه المبادىء فتقسيم الاسواق تقسيماً إقليمياً يجعل من هذه المنطقة او تلك سوقاً تستقل به بعض الشركات الوطنية ، ويوزع مناطق البيع في الاسواق الاخرى .

وفي ميسورك ان تكوّن فكرةً عن الارباح التي جنتها التروستات الاميركية من طريق المحالفات الاقتصادية الدولية المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية إذا علمت ان شركة * الهندسة والسبك المتحدة في بيتسبورغ ** — وهي تقع ضمن دائرة نفوذ « ميلون » ولكنها متصلة ايضاً بأحد المصارف النيويوركية التي يسيطر عليها مورغان — هي اكبر التروستات التي تقتسم في مابينها اسواق الفولاذ في العالم ، وانها عقدت سنة ١٩٤٧ اتفاقات مع الشركات الاجنبية المنافسة انحدرت بهذه الشركات الى مرتبة وكيل يبيع لحساب شركة الهندسة والسبك المتحدة ، لقاء عمولةٍ معينةٍ في معظم بلدان العالم ، ولكنها أذنت لها في ان تبيع منتجات من صنعها هي في مناطق محدودة جداً ، شرط ان تدفع الى شركة الهندسة والسبك ضريبةً عن هذه المبيعات . . .

ومثل هذا الوضع كان قائماً ، قبل الحرب العالمية الثانية ، في صناعة المعدات الكهربائية. فقد ابتلعت شركتا جنرال ايلكتريك

* United Engineering and Foundry Company of Pittsburgh.

** بيتسبورغ مدينة في بنسلفانيا مشهورة بصناعة الحديد والفولاذ. [المعرب]

(مورغان) ووستنكهاوس (ميلون — روكفلر) سائر الشركات المنافسة لهما في الولايات المتحدة وقسمتا السوق المحلية في مابينهما.. ليس هذا فحسب بل لقد وظفتا رساميل كبيرة خارج الحدود الاميركية وقاسمتا الشركة الاجنبية اجزاء كبيرة من السوق العالمي . وفي سنة ١٩٣٠ تمّ اقتسام الاسواق في العالم الرأسمالي من طريق محالفة اقتصادية دولية Cartel عقدت بين تسع من شركات المعدات الكهربائية العالمية وعلى رأسها الشركتان الاميركيتان العملاقتان ...

ولكن ما المعاني التي تستفاد من هذا كله ؟

يستفاد من هذا **أولاً**، ان المعدات الكهربائية الثقيلة لا يمكن ان تشترى في ايما بقعة من العالم الرأسمالي من غير ان يدفع المشتري الجزية الخاصة التي تفرضها شركات الاحتكار التسع . **ثانياً** ، ان القوي الرأسمالية التي تقف من وراء الشركات الكهربائية في كل من البلدان الاستعمارية تملك قوة النقض او « الفيتو » في ما يتصل بتطوير الطاقة الكهربائية وبالصناعات المسيرة بها في اقطار العالم الرأسمالي قاطبة . **ثالثاً** ، ان لمؤسسة مورغان ، بفضل مركزها الخاص ، وتدخلها العريض في الشركات الاخرى ، وسيطرتها العارمة على براءات الامتياز، الصوت الأعلى في هذا الاحتكار...

فاذا رغب نفر من اهل البرازيل مثلاً في ان يقيموا منشآت لتوليد الطاقة الكهربائية فيتعيّن عليهم ان يشتروا المولدات والتربينات turbines من الشركات المنتظمة في هذا الاحتكار الدولي ، ويدفعوا اليها الجعالة الدائمة التي تفرضها عليهم، ويعهدوا في إقامة

هذه المنشآت الى مؤسسات هندسية تربطها بشركات الاحتكار رابطة نسب أو قربى . ليس هـــذا فحسب ، بل يتعيّن على اولئـك البرازيليين ايضاً ان لا ينتهجوا ايما سياسة قد تعود بأذىً جديّ على مصالح شركات الاحتكار في البرازيل ...

فاذا رغب البرازيليون في اجتناب الوقوع في هذا الشرك ففي ميسورهم ان يفزعوا الى شركة جنرال ايلكتريك البريطانيـة التي تملك الرساميل الاميركية ٤٠ بالمائة من اسهمها ، او الى شركة جنرال ايلكتريك الالمانية التي تبلغ حصة الرأسماليين الاميركيين ١٨ بالمائة من اسهمها ليس غـــير ! ... وحيثما تلفّت اولئك البرازيليون فلن يقعوا إلا على شركات خاضعةٍ إما لسيطرة جنرال ايلكتريك أو لسيطرة وستنكهاوس ...

امبراطورية المصارف

وكما تقف المصارف الكبرى من وراء الاحتكارات الصناعية في الوطن ، كذلك تشارك في النشاط الاقتصادي الذي تقوم به الشركات الاميركية في مختلف البلدان الأجنبية . وإنما تلعب هذه المصارف دور المُغري بالتوسع الخارجي ، المُفاوض من اجـل تحقيقه . والواقع ان اصحاب مصارف التوظيف كانوا ، قبـل عام ١٩٣٠ ، يقرضون المشروعـات الأجنبية ويروّجون لها بصورة مباشرة ، ولكنهم فرضوا سيطرتهم منذ الحرب العالمية الثانية على ادوات اكثر فعاليةً . وليس من ريب في ان كل سَنْتٍ (فلس) من القروض الهائلة التي تعقدها الولايات المتحدة مـــع

البلدان الاخرى او التي تُقدّم الى هذه البلدان من طريق البنك الدولي إنما يقدمها في الواقع أصحاب مصارف التوظيف الكبرى في اميركة . ولعلك تعجب إذا علمت أن ممثلي اصحاب المصارف هؤلاء ، المباشرين، يحتلون المناصب الرئيسية في وكالات الأقراض والتسليف، وأن رجالهم يديرون بأنفسهم وزارة المالية الاميركية، وانهم قد انشأوا لجنة استشارية لتوجيه الحكومة في القضايا المالية الدولية ...

وفوق ذلك كله تشارك المصارف الاميركية ، مباشرةً ، في مشروعات التوظيف المالي في الخارج . والحق ان للمصارف الأميركية الأربعة الكبرى : **ناشيونال سيتي** * ، **وتشايس ناشيونال** (روكفلر) **وغارانتي تروست** (مورغان) ، **وبنك اميركة** (جيانيني) ، فروعاً كثيرة خارج الولايات المتحدة ، وانها تتمتع بالنفوذ الأقوى في ميدان النشاط العالمي الذي تقوم به الرساميل الأميركية .

الامبراطورية الاقليمية

والحق أن تقسيم العالم ما بين الكتل الصناعية والمالية يجري جنباً الى جنب مع تقسيم العالم الرأسمالي تقسيماً جغرافياً الى امبراطوريات استعمارية تخضع كل منها ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، لمركزٍ معين من مراكز القوة والسلطان . واليك

* ولمورغان أعظم السيطرة على هذا المصرف الضخم الذي يبلغ عدد فروعه واحداً وخمسين فرعاً منشورة في أرجاء العالم . [المؤلف]

فيما يلي خريطة تقريبية للامبراطورية الاميركية . وقد اجتزأنا فيها بذكر البلدان التي رسخت فيها السيطرة الاميركية الاستعمارية رسوخاً جعل مرافقها القومية المهمة ملكاً للرساميل الاميركية او خاضعة لسلطانها . أما النجوم فتشير الى البلدان التي اعتبرها البروفوسور توماس باركر مون Moon منذ سنة ١٩٢٦، جزءاً من الامبراطورية الاميركية ، في كتابه الموسوم بـ « الاستعمار والسياسة العالمية . »

الامبراطورية الاميركية سنة ١٩٥٠

	عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)	التروستات الاميركية او المرافق التي تسيطر عليها
ألاسكا *	٠،١	شركات صيد الاسماك
كندا	١٣	شركات مختلفة
غرينلند	٠،٠٢	شركة « آلكووا »
كوبا *	٥	تروستات السكر
المكسيك	٢٣	معادن مختلفة
ثمانية بلدان صغرى في اميركا الوسطى * وبحر الكاريبيان	١٥	شركة الفاكهة المتحدة ناشيونال سيتي بنك
بورتو ريكو *	٢	تروستات السكر
فنزويلا	٤	ستاندارد اويل (نيوجيرزي)
كولومبيا	١١	ستاندارد اويل (نيوجيرزي)
بيرو	٨	و. ر. غرايس (النقل البحري) سيرو دي باسكو (النحاس)
شيلي	٦	شركة آناكوندا وشركة كنيكوت (النحاس)
بوليفيا	٤	شركة المعادن الاميركية (الصفيح)
البرازيل	٤٨	شركات مختلفة

غينيا (الهولندية والبريطانية)	١	شركة آلكووا (البوكسيت)
هوايي *	٠،٥	شركات السكر
الفيليبين *	٢٠	شركات مختلفة
العربية السعودية والبحرين	٦	اربع شركات كبرى للنفط
تركية	١٩	الكروميت
اسرائيل	١	شركات مختلفة
اليونان	٨	التبغ
ليبيريا	٢	شركة فايرستون للمطاط، شركة الفولاذ الجمهورية
مجموع السكان	١٩٧	

وفي خمسة بلدان اخرى على الاقل نما النفوذ الاميركي نمواً كبيراً، وشرعت الرساميل الاميركية تزحزح الرساميل البريطانية وغيرها عن مكانتها :

	عدد السكان (بالملايين)
الارجنتين	١٦
أسبانيـة	٢٨
مصر	١٩
طايلند	١٧
يوغوسلافية	١٦
مجموع السكان	٩٦

ولليابان (٧٨ مليون نسمة) والمانية الغربية (٤٨ مليون نسمة) وضعٌ خاص. فالقوات الاميركية المسلحة تحتل هذين البلدين، والرساميل المالية الاميركية تسيطر على تجارتها الخارجية. وقد وظفت شركات الولايات المتحدة اموالاً ضخمةً فيهما منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية. ولكن اليابان والمانية الغربية بلدان متطوران، لا يزال ابناؤهما يملكون معظم الصناعات الاساسية. والنضال الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي في كلا البلدين قويٌّ الى

درجة حملت وول ستريت على التردد في بسط اشرافه المباشر على مرافق الاقتصاد الحاسمة . ومن هنا فأن الحكم الاستعماري الاميركي لما تُوطَّدْ اركانه توطيداً كاملًا في هذين البلدين .

وهكذا نستطيع ان نُجمل في ما يلي مناطق السلطان الاستعماري الاميركي كما تبدو سنة ١٩٥٠ ، آخذين بعين الاعتبار اختلاف ظلال السيطرة ودرجاتها :

	عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)
الولايات المتحدة الاميركية .	١٤٤
بلدان تسيطر الولايات المتحدة على مرافقها الاقتصادية سيطرة تامة .	١٩٧
بلدان في سبيلها الى الخضوع للسيطرة الاميركية .	٩٦
بلدان تحتلها الولايات المتحدة احتلالاً عسكرياً ، ولكن حكمها الاستعماري لم توطد أركانه فيها .	١٢٦
مجموع سكان الامبراطورية الاميركية ، بمعناها الواسع .	٥٦٣

والحق ان سكان بريطانية ومنطقتها الاسترلينية يبلغ عددهم اكثر من هذا الرقم بقليلٍ . ولكن من الخطأ ان نستنتج من ذلك ان الامبراطورية البريطانية اكبر من الامبراطورية الاميركية . ذلك بأن قبضة الاستعمار البريطاني هي اليوم أضعف مما كانت امس . وإن عدداً من البلدان التي تشكل اجزاء رئيسية في تلك الامبراطورية بسبيل الانفصال عنها او الانضواء تحت راية الاستعمار الاميركي الاقوى . وفي بعض المناطق البريطانية

الأخرى يتصدّر الرأسماليون الأميركيون لمشاركة زملائهم الغنيمة في نسبٍ متزايدة ، وهو وضعٌ لا نجد ما يقابله في الامبراطورية الأميركية .

وهكذا نرى ان الامبراطورية الاميركية هي اليوم ، في الواقع ، اوسع واقوى امبراطورية استعمارية على ظهر هذا الكوكب . وأن نحواً من ثلث سكان العالم الرأسمالي ليعيشون ضمن نطاقها . وأياً ما كان فأن منطقة نفوذ رأس المال الاميركي أوسع من ذلك أيضاً . فهي تشمل جميع بلدان اوروبة الغربية المنتظمة في مشروع مارشال ، ومستعمرات هذه البلدان وأنصاف مستعمراتها . وليس من ريب في أن نفوذ اميركة العسكري والاقتصادي آخذٌ في التعاظم على تفاوت في القوة والسرعة ، في جميع هذه الأمصار . وكلما ازداد تورطُ العناصر التي تحكم تلك البلاد في مشروع مارشال ، والحلف الأطلسي ، وإعداد العدّة لحرب عالمية ثالثة انتهت حرية التصرف عندهم إلى أن ترسف في قيودٍ أشدّ ، وأغلالٍ أثقل .

وهذه المناطق ، اذا ما اضيفت الى بلدان الامبراطورية الاميركية نفسها ، تؤلف العالم الرأسمالي بقضّه وقضيضه .

٣ . وول ستريت ومأساة الزنوج ...

•

يبتز الاستعمار الاميركي اليوم ارباحاً ضخمة من اجزاء العالم الرأسمالي جميعاً . ولكن الركن الأساسي الذي تقوم عليه ارباح وول ستريت الفاحشة ، والذي يدر على امراء هـذا الحي المالي عائدات تفوق تلك التي يجنونهـا من ايما بلدٍ اجنبي منفرد ، هو اضطهاد الشعب الزنجي في الولايات المتحدة نفسها .

والواقع ان مكاسب عديدة تمت للزنوج في السنوات التي تلت الحرب الأهلية مباشرة . فقـد احتل ممثلوهم عدداً من مقاعد الكونغرس ، واشتركوا في مجالس الولايات التشريعية ، وأسهموا مع حلفائهم البيض في إدارة عددٍ من حكومات الولايات الجنوبية . لقد قاتلوا من اجل ملكية الارض ، وحق التصويت ، وحق حمل السلاح ، وحق التعليم ، وضد ضروب الأيثار والتمييز على اختلاف اشكالها .

ولكن هذه الثورة الاميركية الثانية لم تستكمل . وهي لن تبلغ كمالها إلا حين تتم للزنوج ملكية الارض التي حرثوهـا طوال اجيالٍ عديدة ، وبذلك يتوفر لهم أساس اقتصادي لتحقيق تحررهم الرسمي من العبودية . والذي لا ريب فيـه ان الصناعيين من اهل

الشمال ، الذين سيطروا على الحكومة الفدرالية في عهـــد الحرب الاهلية،لم يكونوا راغبين في تحرير الشعب الزنجي تحريراً صحيحاً . كل ما كانوا يسعون بسبيله هو ان يحلوا محل مالـكي العبيد الجنوبيين في استغلال الشعب الزنجي اقصى مـا يكون الاستغلال . والحق ان النهج السياسي الذي اتبعه الحزب الجمهوري والجيش في الولايات الجنوبية كان تحالفـاً مع مالـكي العبيد السابقين لأخضاع الشعب الزنجي من جديـد . اما النهج الاقتصادي الذي اختاره فكان يهدف الى منع الشعب الزنجي من امتلاك الأرض ، وإقامـة نظام الانتاج على اساس جديد تكون حصة الأسد فيه لأصحاب المصارف والمصانـــع والتجار من اهل الشمال ، في حين يكون مالكو الاراضي الجنوبيون شركاء ثانويين ومناظرين عاديين .

وقـد بلغت هذه العملية اوجها خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر عندما وجد ضغط الاحتكارات المصرفية والصناعية ، لأول مرة ، متنفّساً كبيراً له في الجنوب . وفي هـــذا العقد على الخصوص والسنوات التي تلته مباشرةً رُفعت القواعد للتنكيل بالشعب الزنجي في الجنوب . فوضعت دساتيرُ للولايات جديدةٌ على اساس التمييز ما بـين السود والبيض ، وطُرِد الزنوج من مجالس الحكومات المحلية ومن الكونغرس الاميركي . وسُجّل في مدى ثلاث عشرة سنة نحو الفي حادثة من حوادث الاعدام غير المشروع الذي أنزل بالزنوج ظلماً وعدواناً .

وسار اخضاع الشعب الزنجي ، اقتصادياً ، مع حملة الارهاب والتنكيل جنبـــاً الى جنب . فما هي الا فترة حتى أبعد العمال

الزنوج عن الأعمال ذات الرواتب العالية وحيل بينهم وبين بعض الصناعات بالكلية (المنسوجات القطنية مثلاً) . فالتمسوا الرزق من طريق القيام بأعمال البناء الشاقـــة ، والالتحاق بالمناجم . واتخذت إجراءات خاصة للحؤول بين الزنوج وامتلاك المزارع ، ولفرض العبودية الزراعية والعمل الصناعي ذي الأجل الضئيل على اكبر عددٍ منهم .

وفي الوقت نفسه ضيّق اصحـــاب المصارف والاحتكارات الصناعية الشمالية الخناق على الحياة الاقتصادية الجنوبية لكي يبتزوا الارباح الفاحشة من الشعب الزنجي المضطهد . فعززوا صناعة الفحم والحديد والفولاذ والقطن والتبغ ووسعوا شبكة السكك الحديدية واخضعوا ذلك كله ، على تفاوت في الدرجة ، لسلطان رأس المال الشمالي . وفي السنوات التالية تضاعفت الأموال الشماليـة الموظفة في اصقاع الجنوب وامتدت الى صناعاتٍ جديـــدةٍ — كالنفط ، والطاقة الكهربائية ، والحرير الصناعي والمواد الكيميائية — امتداداً عجيبـاً جعل أنصبة الشماليين فيهـا اكبر من انصبتهم في الصناعات القديمة نفسها .

وهكذا حوّل الجنوب ، عملياً ، الى نصف مستعمرة لوول ستريت ، وانتهى الزنوج الى ان يكونوا عمـالاً شبه مسخرين في تلك المستعمرة .

ومع الايام ازداد عدد الزنوج واشتدت حاجة المصانع الشمالية وبخاصة ايام الحروب ، الى العمال . فشُجع ملايين من الزنوج على الانتقال الى الشمال حيث انزل بهم اقطاب المال انفسهم ضروب

الاضطهاد والاستثمار عينها، ولكن باشكالٍ اقلّ وضوحاً من تلك التي عرفوها في الجنوب .

استغلال الزنوج استغلالاً فاحشاً

والشعب الزنجي ، كالشعوب المستعمَرة ، لا يملك صناعةً ما ، وليس له غير نصيب ضئيل جداً في ملكية رأس المال باي شكلٍ من أشكالها . ومع ذلك فهو يقدّم مقداراً غير متوازن من العمل الثقيل الذي تجني منه الرساميل الاميركية أرباحها الأسطورية . فنحو ثلاثة أرباع العمال الذكور غير البيض كانوا يعملون في سنة ١٩٤٠ كزرّاع او عمال او مستخدمين . اما العمال البيض في هذه الحقول فبلغت نسبتهم الثُلث تقريباً .

وهكذا فأن ُطفيليّة الحياة الاميركية المتعددة الجوانب التي تعتنق عدة ملايين من السكان ، واجور العمال الفنيين المرتفعةنسبياً إنما تنهض الى حدٍ غير يسير على كدح الشعب الزنجي القاصم للظهور في المزارع والمدن .

وفي سنة ١٩٤٧ بلغ متوسط دخل العامل الابيض ١٩٨٠ دولاراً سنوياً،في حين بلغ متوسط دخل العامل غير الابيض٨٦٣ دولاراً ، أي ٤٣،٦٪ من دخل زميله الابيض . *

وهذا الفرق الذي ينيف على ١١٠٠ دولار يمثل مقدار الدخل الاضافي والارباح الفاحشة التي يبتزها اصحاب العمل من العامل

* U. S Dept. of Commerce, Report P - 60, Incomes of Families and Persons in the United States, 1947, table 22, p. 29.

الزنجي المتوسط زيادةً على الارباح السوّية normal التي يجنونها من العامل الابيض . والواقع ان الدعاية البيضاء تزعم ان الزنجي دون زملائه البيض مقدرةً وبراعة ؛ وأنه أقلّ منهم انتاجاً ،ومن أجل ذلك فهو غير جدير بأن ينال ما ينالون من أجور مرتفعة نسبياً ... وليس من ريب في ان الشعب الزنجي لا يتمتع بفرصٍ للتربية متكافئة مع تلك التي يتمتع بها البيض . وحتى الثقافة التي يُوفّق الزنوج الى اكتسابها في بعض الأحيان لا تغني عنهم شيئاً ، من هذه الناحية . فالاحصاءات الحكومية تُظهر أن الاميركي الابيض الذي درس أربع سنوات أو خمس سنوات في الجامعة يبلغ متوسط دخله السنوي٢٠٤٦دولاراً ، في حين ان الاميركي الزنجي الذي أتم مراحل الدراسة نفسها يبلغ متوسط دخله السنوي ١٠٤٧ دولاراً . والمواطنون البيض الذين لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الثانوية لا يكسبون ضعف ما يكسبه الزنوج الذين يساوونهم ثقافةً فقط، بل يزيد دخلهم بنسبة ٤٠٪ على دخل خريجي الجامعات من الزنوج . ليس هذا فحسب ، بل ان الاميركيين البيض الذين لم يعدُوا مرحلة التعليم الابتدائي يكسبون اكثر من الزنوج الجامعيين، ويبلغ متوسط دخلهم ٧٠٪ اكثر من متوسط دخل امثالهم من الزنوج*

وليس من ريب في ان إيثار البيض على السود في ميدان العمل هو رذيلة في ذاته . ولكنه ليس القصة كلها بحالٍ من الاحوال . فالحق ان العامل الزنجي لا يُعطى اجراً اقل لقاء عملٍ أقل ، بل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P-46, No. 5, Educational Attainment by Wage or Salary Income : 1940, p. 8, table 5.

لقاء عملٍ يَعْدِل العمل المطلوب من العامل الابيض او يزيد عليه من حيث الكمّ والكيف جميعاً .

صحيحٌ ان الزنوج معزولون في اعمـــال مخصوصة . ولكن هذه الاعمال ليست ، على أية حالٍ ، اسهل الأعمال او اقلها حاجةً الى البراعـة . إن عكس ذلك تماماً هو الصواب . فالعمل الذي يُسند الى الزنجي عادةً هو اكثر الأعمال مشقة ، وأشدها خطراً ، وأكرهها الى النفس ، وأبلغها إيذاءً للصحة . والعمال الذين يؤدون هذه المهامّ نفسها في الاتحاد السوفياتي إنما يُكافأون على ادائهم إياها بأجور اعلى ، وساعات من العمل اقلّ ، وعُطل اطول آجالاً .

ويلاحظ جنر ميردل Gunnar Myrdal في كتابـه « مأزقٌ اميركي » ان واحداً بالمئة من العمال في شعبة الادوات من شركة فورد للسيارات ، حيث الاجور مرتفعة جداً ، هم من الزنوج ، في حين ان ٤٧٪ من العمال في قسم الصبّ والسبـــك من الشركة نفسها ، حيث الاجور منخفضة جـــداً بالرغم من ان العمل هناك اشق واخطر وبالرغم من انه يقتضي براعة مماثلة ، هم من اصحاب البشرة السوداء * .

اما روبرت ويفر فينص في كتاب له عن مشكلة العمل عنـد الزنوج على ان الكثرة الكبيرة من العمال الزنوج في الشمال يعملون في مصانع الصبّ ، وغيرها من المصانع الحارّة ، الكريهـة ، التي تقدّم الى عمالها اجوراً منخفضة نسبياً ** .

---

* Myrdal, An American Dilemma, Vol. II, pp 1076 ff.

* * Robert C. Weaver, Negro Labor, a National Problem, p. 8. N. Y., 1946.

وفي ميسور القارىء ان يكوّن فكرة عن الأحـــوال التي يعمل هؤلاء الزنوج في ظلها من تقرير وضعته بعثة بريطانية زارت سنة ١٩٤٩ مصانع سبك الفولاذ في الولايات المتحدة بدعوة من ادارة مشروع مارشال ، لتعليم الاوروبيين «طريقة العيش الاميركية» . فقد وجدت هذه البعثة ان ٥٥ ٪ من الخمسة والسبعين الف عامـل هم من الزنوج و ١٥٪ هم من «العمال الاوروبيين بولونيين وتشيكيين وإيطاليين وغيرهم» ، و ٣٠٪ هم من « العمال الاميركيين البيض » .

اما عن احوال هؤلاء الزنوج الذين يؤلفون الغالبية الكبـيرة من العمال المنتجين في تلك المصانع ، والذين يقدّم كلٌ منهم مجهوداً يزيد ما بين ٥٠ ٪ الى ٩٠ ٪ على ما يقدمه زملاؤه في مصانـــع الصبّ والسبك البريطانية ، فيقول التقرير إن البعثة وجدت العمال الزنوج « منهمكين في عملٍ شاقّ الى حد بالغ ، حاملـين بأيديهم مطارق ثقيلة من حديد . » وان هؤلاء العمال يشتغلون شغـــلاً متواصلاً « فلا يكاد النهار ينتصف وتعلن الصفارة بدء عطلة الظهيرة حتى ينطرحوا على وجوههم ، حيث يعملون ، ويستسلموا لسلطان الرقاد . » ويشير التقرير فوق ذلك الى انعدام الوقاية من تتريب الرئة بسبب استنشاق الرمل والتراب Silicosis و « تضحية السلامة على مذبح السرعة » و « جوّ الاهمال الذي يسود الأبنية جميعاً » .

وتعزو البعثة هذه الاحوال كلها الى رغبة اصحاب الاعمـــال « القساة القلوب » في ان ينتزعوا من عمالهم اعلى قدْر ممكن من الانتاج حتى في ايام الكساد . ولكن لمـاذا يرتضي الزنوج القيام بهذه الاعمـال التي يعافها معظم العمال البيض ؟ هنا يزعم الزوار

البريطانيون الذين اعتادوا استغلال الشعوب السوداء في إفريقية « ان الزنوج « يجدون لذة كبيرة » في هذا النوع من العمـــل ، وانهم يشتغلون في ازدراء كامل للنصب والاعياء ، وانهم «يألفون» الحرارة المرتفعة ارتفاعاً كبيراً ... *

وفي الزراعة يظهر الاضطهاد الاستعماري الذي يخضع له الزنوج في اكثر اشكاله تطرفاً . فغالبية الزراع الزنوج يعملون على أراضٍ ليست ملكاً لهم ويقدمون ما يزيد على نصف غلالهـــم اجوراً للمالكين . واكثر من هؤلاء عدداً اولئك الزنوج الذين يستأجرهم اصحاب الاراضي لقاء أجرٍ معلوم ، وهذه الفئة هي التي تعاني من الاستغلال أشده وأقساه . ففي تموز سنـــة ١٩٤٧ كان متوسط التعويض اليومي المدفوع الى الأجير المزارع في الولايات الغربية الشمالية الوسطى حيث يُستخدم عدد قليل جـــداً من الزنوج ، ٦ دولارات و ٥٢ سنتاً . اما في الولايات الشرقية الجنوبية الوسطى حيث نصف العمال الزراعيين تقريباً من الزنوج ، فقد بلغ متوسط ذلك التعويض ٣ دولارات و ٢٤ سنتاً . ليس هذا فحسب ، بل إن متوسط دخل جميع الأسر البيضاء العاملة في المزارع بلغ ٢١٥٦ دولاراً سنة ١٩٤٧ ، في حين بلغ متوسط دخل جميع الأسر الملونة ١٠٢٦ دولاراً — اي ان الفرق بين الدخلين يكاد يبلغ نفس الفرق الذي وجدناه قائماً بين دخل العامل الصناعي الأبيض ودخل العامل الصناعي الأسود ، وهو ١١٠٠ دولار ... **

---

* Anglo - American Council on Productivity, Steel Founding, London, 1949.

* * Incomes of Families and Persons in the United States 1947, p. 16, table 2.

ولكن كم تبلغ الأرباح الفاحشة التي يبتزها الاستعمار الاميركي من استغلال الشعب الزنجي استغلالاً إضافياً ؟ إن في ميسورنا ان نقع على جواب تقريبي إذا اعتبرنا فرق الألف ومئة دولار الذي أشرنا اليه ربحاً إضافياً ، ثم ضربنا هذا الرقم بعدد العمال الزنوج المنتجين في حقلي الزراعة والصناعة ، وقد بلغ سنة ١٩٤٧ نحو ثلاثة ملايين ونصف ، وعندئذ تكون النتيجة ربحاً إضافياً إجمالياً يبلغ اربعة مليارات دولار تقريباً .

والواقع ان هذه العملية الاحصائية لا تشمل غير منتجي السلع من العمال الزنوج . انها تُسقط من الحساب ، مثلاً ، مئات الالوف من النساء الزنجيات اللواتي يتركن بيوتهن ليخدمن في منازل المواطنين الاثرياء لقاء عشرة دولارات اسبوعياً ، في الجنوب ، وما بين عشرين الى خمسة وعشرين دولاراً اسبوعياً في الشمال (باستثناء مدينة نيويورك .)

وأياً ما كان فان رقم الاربعة مليارات دولار يمثل تقديراً محافظاً لما يكسبه الاستعماريون الاميركيون من اضطهاد الشعب الزنجي لانه يهمل مورداً مهماً من موارد الربح الفاحش اهمالاً كلياً . وتفصيل ذلك ان الشعب الزنجي في الولايات المتحدة ، يقتضى اسعاراً أعلى من الاسعار الاحتكارية العادية السائدة في هذه البلاد . ففي الريف الجنوبي يتعين على السكان الزنوج ان يدفعوا اسعاراً اضافية في مخازن القرى ... وفي المدن يُعزل الزنوج في مناطق مخصوصة من مثل منطقة « هارلم » Harlem في نيويورك ، حيث تباع السلع ، على رغم رداءتها النسبية ، بأسعار أعلى مما تباع في المناطق المجاورة . وانما تتجلى هذه النزعة الى استغلال الزنوج ابشع

ما تتجلى ، في اجور المنازل. والواقع ان احقر احياء العمال القذرة slums التي تعرفها مدينـــة نيويورك، والتي تملكها اكبر شركات التأمين وشركات الرهون وغيرها إنما تقوم في منطقـــة « هارلم » الآنف ذكرها . ولكن اجور المنازل هنا اعلى منهـــا في سائر المناطق العمالية بنسبة خمسين بالمئة !...

اضف الى ذلك ان ايما محاولة إحصائية لا تستطيع ان تتسع لآلام البغي نصف العبودي الذي يحيـــا في ظله ملايين الزنوج الاميركيين. فأسر الحصادين التي تتعاقد على العمل كأسر ، يكره افرادها جميعاً ــ الشيوخ والنساء والاطفال الصغار ابتداء من سن الخامسة ــ على ان يعملوا في الحقول من مطلع الفجر حتى الغروب . ومن طريق الديون العجيبة وسنن العبودية المقنّعة باقنعة رقاق يحيا هؤلاء الزنوج شبه سجناء او أسرى يحق لمالك المزرعة القاء القبض عليهم إذا ما حاولوا مغادرتها . اما المهاجرون الذين لم تعد الحاجة اليهم ماسة في المزارع الجنوبيـة فأنهم يعيشون تحت رحمة ملتزمي الاعمال بالمزارع الشمالية الرأسمالية وفي أسرِهم . . . وهل ننسى اخيراً ، مئات الالوف من الزنوج الذين يعتقلون كل سنة ، في الجنوب ، لغير ما جريمة اقترفتها ايديهم ، ابتغاء إجبارهم على العمل المسخّر في مزارع السجون وفي الشوارع والطرق لمصلحة شركات الاغذية والملتزمين الذين يجنون ثمرات عملهم غير المأجور !

مظاهر الاضطهاد السياسي .

إنّ في وضع الشعب الزنجي في الولايات المتحـدة مِصداقاً

لقول كارل ماركس المأثور : « لا يستطيع العمل ان يُعتق نفسه في البشرة البيضاء حيث يكون مُسترقاً أو مُستعبَداً في البشرة السوداء.» وليس من ريب في ان هذا المنطق ينطبق على الاستغلال الاستعماري الفاحش للشعوب المستضعَفة بشكل عام ولكنه في الحالة الخاصة بالشعب الزنجي ، يقع في قلب الوطن الأمّ ، ويترك اثره المباشر في وضع العمال البيض انفسهم .

ومهما يكن من امر فأن زعماء نقابات العمال في الولايات المتحدة ، باستثناء قلة صغيرة من التقدميين ، يشجعون اضطهاد العمال الزنوج ويعملون على ترسيخ قواعده وتوطيدها . والواقع ان عدداً من نقابات الحرف التي تقتضي براعة خاصة يُحظر على الزنوج الانتماء اليها تحظيراً صريحاً ، في حين تُغلق عدةٌ من النقابات الاخرى ابوابها،بصورة غير مباشرة ، في وجه الزنوج من طريق نظام التدرّب والاجازة الذي تفرضه على اعضائها . ليس هذا فحسب،بل ان النقابات الصناعية القوية لتقصر تقصيراً فاضحاً في حمل اصحاب العمل على منح عمالهم السود حقوقاً متساويةً والحقوق التي يمنحونها عمالهم البيض،وفي النضال ضد قاعدة « آخر من يُستأجر ، وأول من يُسرّح ويُطرد » التي يطبقها اصحاب العمل ضد الزنوج ، وفي الحيلولة دون فرض الأعمال الاكثر مشقة والأقل اجراً على العناصر الزنجية في المحل الاول ، وفي المطالبة بان يتولى العمال الزنوج بعض المناصب في النقابات الخ . . .

لقد انتشرت سموم التعصب العرقي في طول البلاد وعرضها وتسربت الى مجاري الحياة الاميركية جميعاً . فاذا بجماهير الشعب

تتعود اصطناع تعابير الاستخفاف والاحتقار في معرض الاشارة الى الشعب الزنجي والاقليات القوميـــة الاخرى . والحق ان الطبقات الحاكمة قد حاولت قسمة الأمة الاميركية الواحدة إلى طوائف متباينة على اساسٍ من الأصل القومي . وعلى الرغم من ضروب الدعاية التي تصور الولايات المتحدة وكأنها « بوتقة تلتقي فيها الشعوب » لا يزال رجال السياسة يبنون حملاتهم الانتخابية عـــلى نداءات خاصة الى « الناخبين الايرلنديين » و « الناخبين البولنديين » ، و « الناخبين اليهود » و « الناخبين الايطاليين » ، و « الناخبين الزنوج » ...

وثمة مضامين أخرى أبعد مدى وأشد خطراً . ذلك ان الجماعة التي لا ترى بأساً في إنزال الأذى والاضطهاد بشعبٍ كاملٍ يحيا على ارض الوطن خليقة بأن لا تتحمس للنضال ضد هذه الأساليب نفسها حين تُطبّق في جنوبي افريقية ، أو آسية ، أو اوروبة . والانتصار لسياسة التنكيل بالزنوج في الولايات المتحـدة يقود بصورة منطقية الى الانتصار لسياسة التوسع الاستعماري والحرب العدوانية في الخارج ، برغم ما تجره من عواقب وخيمة على الشعب الاميركي ككلٍّ ، وعلى عمال الولايات المتحـدة بوجه خاص . وهكذا فليس عجيباً أن نرى زعماء نقابات العمال المؤيدين لنظام اضطهاد الزنوج واستغلالهم يؤيدون اصرح التأييد برنامج التوسع الاميركي الاستعماري برمّته .

والواقع ان اضطهاد الشعب الزنجي هو عَقِب آخيل * في

* آخيـل هو بطل « الاليـــاذة » لهوميروس . وقد أبدى في حصـــار

الاستعمار الاميركي . ان من المتعذر اخفاءه باشكال الاستقلال كما هي الحال في انصاف المستعمرات ؛ وفي استطاعة كل من يزور الولايات المتحدة ان يراه بأم العين. إنه يسخر من جميع الادعاءات الديبلوماسية التي تسعى الى اظهار الولايات المتحدة بمظهر الحريص على مصالح الشعوب الملونة في آسية وافريقية ؛ ويفضح فضحاً بشعاً الدعاية التي تتبجح « بمستوى الحياة الاميركية الرفيع » ، هذا المستوى الذي يُعتبر حراماً على خمسة عشر مليوناً من المواطنين الزنوج . . .

ولاجتناب هذه الفضيحة يسعى سادة الولايات المتحدة الى اصطناع الزنوج الذين لا يتورعون عن نصرة الاستعمار . ومما تجدر ملاحظته أنهم لا يُسندون الى هؤلاء الزنوج مناصب ذات سلطان حقيقي ، بل يضعونهم في مراكز لها شأنها في العلاقات العامة ، وبخاصة مع مواطني البلدان الاخرى . ومن اقرب الشواهد على ذلك تعيين رالف بانش والسيدة أديث سامبسون في منصبين من مناصب «الامم المتحدة . » ولمثل أغراض الدعاية هذه ، يتظاهر الرئيس ترومان بالعطف على قضية الزنوج ويؤيد مشروع حقوقٍ مدنيةٍ يهدف الى تحسين احوال الشعب الزنجي . فهو يلوم الكونغرس على عدم اقراره هذا المشروع ، ولكنه لا يحاول النضال من اجل اقراره، ولا يعبىء قوى حزبه لانجاحه ، ولا يتنكر لاعضاء هذا الحزب

طراودة من ضروب البسالة ما جعله مثلاً يضرب في القوة والرجولة والبأس الشديد ، ولم يسقط في الميدان الا بعد ان اصيب في احد عقبيه بسهم مسموم سدده اليه « باريس » . وهكذا يكون المقصود من « عقب آخيل » هنا « نقطة الضعف » في الاستعمار الاميركي . [المعرب]

الذين يتزعمون حملة الكفاح ضـــد المشروع. وهو موقف مختلف جداً من مواقف العزم والصلابة التي يتخذها ترومان والحزبان الديموقراطي والجمهوري كلما رغبوا في اقرار تشريع يتصل من قريب او بعيد بالاستعداد للحرب او بالتوسع الخارجي .

٤ . النقطة الرابعة والدول غير المتطورة

●

في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ خاطب الرئيس ترومان جمهوراً من نساء الحزب الديموقراطي فقال :

« نحن مشهورون ، بعض الشيء ، بالمعرفة التقنية ...technical وما أبتغي ان اقوم به هو ان اقدم الى شعوب العالم هـذه المعرفة وذلك الفن... لخدمة السكان ومصلحتهم لا لاستغلالهم واستثمارهم. وهذا هو المعنى الذي تفيده النقطة الرابعة .

« . . . إني لأقف في مكتبي وألقي نظرة على مصوّر الكرة الارضية الذي قدمه الي الجنرال إيزنهاور ... المصوّر نفسه الذي اصطنعه ليكسب الحرب في اوروبة .

« اني لارى انهاراً واودية ضخمة غير متطورة ... وليس من ريب في ان نهري الفرات ودجلة يمكن ان يحوّلا من جديد الى جنة عدن . ففي عهد نبوخذ نصر كان ذلك الوادي يُطعم ما بين اثني عشر مليوناً وخمسة وعشرين مليون نسمة... وان في استطاعته ان يفعل ذلك كرة اخرى ... »

وليس هذا اول وعد استعماري وُجّه الى الشعوب المستضعفة، ولكنه في اغلب الظن اكثرها إسرافاً . فطوال تاريخ الاستعمار

كان الحكام يغطون اغراضهم الاستثمارية بورقة من تين ينسجون أليافها من تظاهرهم بالحرص على خير الفئات المستثمرة ومصلحتها.

والواقع ان الرئيس ماك كينلي Mackinley برّر استيلاء الولايات المتحدة على الفيليبين بقوله ان هـذا الاستيلاء واجب علينا لـ « رفع مستوى » الفيليبينيين و « تمدينهم » و «تنصيرهم».. ولكن الشيء الوحيد الذي ارتفع مستواه ، بعد الفتح ، هو ارباح الشركات التي استبدت بالاقتصاد الفيليبيني وسخرته لمصالحها . . .

وعندما قصد هارفي فايرستون، احد ملوك المطاط الاميركيين، سنة ١٩٢٥ ، الى ليبيريا احاط رحلته هذه بهالة من الدعاية الصارخة حول الخطط التي رسمها لخدمة تلك البلاد ونقل المدنية الى اهلها . حتى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على هذا الاعلان كانت الحضارة الوحيدة التي حملها فايرستون الى ليبيريا هي مجموعة من القواعد الجوية والبحرية الاميركية ومنجم حديد تملكه شركة الفـولاذ الجمهورية . * فلا يزال العمال المشتغلون في المزارع يعبأون من افراد القبائل الاهلية بطريقة العمل الالزامي الافريقية المألوفة . ولا يزال الاميركيون يدفعون الى كل منهم ثمانية عشر سنتاً اجراً يومياً . وقد اطلقوا عليهم الرصاص ، سنة ١٩٥٠ ، عندما اضربوا مطالبين بزيادة في اجورهم لا تعدو ثلاثة سنتات يومياً ! !

وفي العقد الرابع من القرن الحالي وضع صمنر ويلز ، خبير الرئيس روزفلت في شؤون اميركا اللاتينية، «سياسة الجار الصالح» Cood Neighbor Policy التي افترض ان تمثـل اطراحـاً

* احدى الشركات الاميركية الكبرى ، وقد مر ذكرها . [المعرب]

لـ « ديبلوماسية الدولار » وأخذاً بسياسة جديدة تقوم على إسداء « المعونة غير الانانية » الى دول اميركة اللاتينية ابتغـــاء تطوير اقتصادها وتعزيزه . فلمـــا كانت سنـــة ١٩٣٩ كتب المراسل الديبلوماسي بلير بولز يقول : « الحق ان السياسة الاميركية تسعى ابداً إلى بسط سلطانها على أميركة اللاتينية كلها ... بقي على صمنر ويلز أن يبدع اسلوباً يخدع الناس عن حقيقة السياسة الاميركية ويظهرها بمظهر البراءة والتجرد الخالصين ، في نصف الكرة الغربي ... » *

والواقع ان كثيراً من ملامح النقطة الرابعة الحقيقية يمكن ان تُرى من خلال تصريحات عرّابيها والمدافعين عنها . ففي ٣٠ آذار سنة ١٩٥٠ بسط ناظر الخارجية دين أتشيسون ، أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، الاسباب الموجبة لبرنامج النقطة الرابعة. فقال إن ثلثي السكان في البلدان المتخلفة اقتصادياً لن يرتضوا الفقر والمرض اسلوباً لهم في الحياة ، بعد اليوم ، وأهاب بالرأسمالية ان تقدّم حلاً لهـذه المعضلة ، وإلا وجّه هؤلاء السكان وجوههم شطر الشيوعية . وليس من ريب في ان مخاوف أتشيسون في محلها لان تلك الشعوب قد رأت إلى النجاح البالغ الذي اقترنت به الطريقة الشيوعية في آسية الوسطى السوفياتية التي كانت في يوم من الايام مستعمرات قيصرية معدِمة فأخذت اليوم بأسباب الرقي وصُنّعت تصنيعاً زاهراً وغدت تشارك على قدم المساواة في إنشاء الحيـاة بالاتحاد السوفياتي .

---

* Blair Bolles, « Sumner Welles, a Close - up Portrait », in Scribner's Commentator, Dec., 1939.

فهل يقدّم إتشيسون بديلاً عملياً يستطيع ان يضاهي البرنامج الأشتراكي الذي اثبتت الايام نجاحه ؟ انه حين ينتهي الى الكلام التفصيلي جديرٌ بأن يخيّب آمال ايما إنسانٍ يتوقع العون من واشنطون في التطور الاقتصادي. فهو يقول : « احسبُ ان هناك فكرةً شائعةً تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فأنا اعلن ههنا ان ذلك غير صحيح . . . . »

واذا كانت هذه الفكرة شائعة شيوعاً كبيراً فلأن رجال حكومة واشنطون ظلوا طوال عامٍ بكامله يروجون للاسطورة القائلة بأن الولايات المتحدة عازمةٌ على ان تنهض بعبء برنامج تطويري اصيلٍ . ثم ما الذي يبقى من هذا البرنامج إذا استُبعدت المساعدة في ميدان التصنيع ؟...

كل ما يبقى هو « مساعدة » الفنيين الاميركيين . وقد اسهب اتشيسون في عرض الامثلة على ذلك ، فنص على ان خبيراً اميركياً اوصى احد المزارعين باستعمال سماد نيترات الصوديوم ، فعمل المزارع بنصيحة الخبير فبلغ إنتاجه من الحنطة ثلاثة اضعاف إنتاجه السابق ... ولكن اي نفع في مثل هذه النصيحة للكثرة الغامرة من الفلاحين الفقراء الذين لا قِبل لهم بشراء الأسمدة التجارية ، والذين لا يملكون ارضاً ما ولكنهم يكدحون عُمرهم من اجل رفاهية الأمراء الأقطاعيين والشركات الاستعمارية ؟ فواضحٌ إذن ان البرنامج اللاإستعماري الحقيقي — الأرض لاولئك الذين يحرثونها — خليقٌ بأن يكون اكثر استهواءً للفلاحين في البلدان

غير المتطورة ، ومن هنا كان هو البرنامج العملي الأوحد .
ومَثلٌ آخر من اتشيسون : « في استطاعتنا ، مثلاً ، أن نساعد شعوب تلك البـــلدان في أمورٍ من مثل تعداد السكان بالأساليب الحديثة ووضع الاحصائيات الحيوية . وليس من حاجة الى رأس المال الموظف من اجل القيام بهذا كله . »
أجل ، فهذه « المساعدة الفنية » « رخيصة » جداً . « وليس من الضروري ان يكون الخـبراء ثقاتٍ من الطراز الأول في فروع اختصاصهم . ولا ريب في ان هذا العمل يجب ان يستهوي الشبان الاميركيين الذين يتمتعون ببعض الكفاءة والخبـــرة . وأحسب ان في استطاعتنا ان نقع على مئات من الرجال الصالحين في الدوائر الحكومية والبلدية ، وفي المدارس والجامعات ، وفي المزارع والمصانـع ومنظمات البحث الخاصة . والمشكلة الآن تتلخصُ في البحث عن هؤلاء الرجال ، وإخضاعهم لتدريب إضافي بسيط ، ثم اقناعهم بالسفر الى الخارج في خدمة امتهم وبلادهم . »
ببضع مئاتٍ من الشباب الطالـــع يعتزم اتشيسون ان يسدّ حاجات ثُلثي سكان العالم ، وان يقفَ اندفاعهم نحو التحرر الوطني ! وينبه ناظر الخارجية مستمعيه الى ان برنامجه « قد يحتاج - إلا في احوال قليلة - الى خمس سنوات او عشر سنوات او اكثر من ذلك ايضاً لـكي يؤتي ثماره اليانعة . حسناً ، إن عشراً من السنوات لا تعدو ان تكون دقيقةً في حياة الأمـة ، واقل من ثانية في حياة الحضارة . »
والواقع ان خمس سنوات او عشراً تعني حياةً او موتاً ،

شبعاً أو جوعاً ، صحة ً او مرضاً ، سلمـــاً او حرباً ، بالنسبة الى مئات الملايين من البشر ...

إن الناس لا يستطيعون الانتظار . وإنهم لن يأخذوا بفلسفة اتشيسون في « الدقائق » و « الثواني » . ولا خلاف في ان قيمة برنامجه الدعاوية محل شكٍ وارتياب . فعلام هذه الضجة كلها ؟ وما هي الحقيقة وراء هذه الوعود الفارغة ؟

واليك هذا المثل الذي يصور لك كيف تعمـــل « المساعدة الفنية » في الواقع . قال اتشيسون :

« لقـــد دعت الحكومة البرازيلية ايضاً ثلاثة جيولوجيين اميركيين رسميين لمساعدة خبرائها في البحث عن مصادر جديـدة للمواد الستراتيجية. وقد نتج عن هذه المساعدة المتواضعة اكتشاف منجمين من اضخم مناجم المنغنيز في نصف الكرة الغربي، منجمين لا يُقوّمان بمالٍ مهما عَظُم . »

ولكن مستر اتشيسون يحجم ، في تواضع ، عن الاشارة الى هذه الحقيقة : أن « المنجمين اللذين لا يقوّمان بمال مهما عظم » إنما تتدفق خيراتهما عـــلى « شركة بيت لحم للفولاذ » Bethlehem Steel Co. لا على الشعب البرازيلي . ومن هنـــا نرى ان برنامج المساعدة الفنية لا يعدو ان يكون ، في جوهره ، تصيداً مكثفاً للمواد الاولية تقوم بـــه الحكومة الاميركية لمصلحة الشركات الاحتكارية في وول ستريت ...

بيد ان إسداء المساعدة الفنية الى البلدان غير المتطورة ليس غير الجزء الاصغر من برنامج النقطة الرابعة . قال اتشيسون : « وعلى

اية حال ، فنحن نضع توكيداً شديداً على استثارة المؤسسات الخاصة للمشاركة في هذه المشروعات لا من طريق تقديم الرساميل فحسب ، بل طريق تقديم البراعات التقنية technical والادارية التي تأتي مع الرساميل ايضاً . »

وتلك هي القصة القديمة التي تتحدث عن تقديم المساعدة الحكومية لتصدير الرساميل من قبل الشركات الاحتكارية ، والتي تهدف آخر الأمر الى إبقاء الدول المستضعفة على حالها من التأخر والفقر. ولكن كيف تقدّم هذه المساعدة الحكومية ؟ عن هذا السؤال يجيب اتشيسون :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير ما تعويض عادل ، وان في ميسورهم ان يُخرجوا ارباحهم المشروعة ورأس مالهم من البلاد ، وان تكون لهم حرية معقولة في إدارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي. ذلك ، بكلمة موجزة ، هو جوهر مشكلة توظيف الرساميل، وإنها كما ترون مشكلة ثقة .... »

ثقة بأن شيئاً لن يحول دون الشركات الاحتكارية الكبرى واقتناص الارباح الفاحشة وإخراجها ؛ ثقة بأن حركة التحرر الوطني لن تنهض يوماً للمطالبة بثروات البلاد القومية ، ثقة بأن الشركات الاحتكارية ستكون قادرة على ان تعمل كما يحلو لها في البلدان الأجنبية ...

ذلك هو الهدف الحقيقي الذي يرمي اليه مشروع النقطة الرابعة. وعلى ضوء هذا الهدف اتخذت التدابير العملية لأنجاح المشروع .

وهذه التدابير تشمل « أ » عقد معاهدات مع البلدان الاجنبية من اجل إطلاق يد الاحتكارات الاميركية في العمـــل ؛ «ب» سن الحكومة الاميركيـــة تشريعات تضمن ارباح هذه الشركات واموالهـا الموظفة ؛ « ج » وضع تشريعات خاصة تخفض الضرائب على الارباح التي تجنيها الشركات من المشروعات الخارجية .

وحتى هذا كله ليس كافياً :

« ولكن حين تجمعون هذه الاشياء كلهـا فلا ريب في انـكم ستجدون ان ليس ثمة طريقـة لا يتطرق اليها الوهن لضمان حقوق المسهمين في هـــذه المشروعات وصيانتها من مختلف المخاطر التي تواجهها في اجزاء كثيرة من العالم اليوم . »

وهكذا يؤكد اتشيسون انه يتعين علينا ان نسعى الى ايجـاد « المناخ الملائم » لتوظيف الرساميل. ولكن ماهو «المناخ الملائم»؟ إنه شعب مستكين مذعور يخاف ان يقاتل من اجل مصالحه الخاصة. إنه يقتضي سحق حركة التحرر والقضاء على الاشتراكية حيثما وجدت.

ويكشف ناظر الخارجية الستار عن حقيقة الأهداف التي تقصد اليها الولايات المتحدة من تصدير الرساميل الاميركية في قوله :

« نحن ننفق المليارات على الدفاع العسكري ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن ننفق مليارات اخرى على تدعيم الحياة الاقتصادية في اوروبة ومناطق حيوية في الشرق الأقصى، كما ينبغي لنا ان نفعل. ونحن ننظم ضروب الدفاع المشترك عن طريق معاهـــدة شمالي الأطلسي وبرنامج المساعدة العسكرية . »

ومن هنـا نرى ان مقتضيات الاستغلال الاستعماري المكثف

لا تزال هي هي : تسليط العصا على جنوب المستثمَرين . والواقع ان برنامج النقطة الرابعة بكامله يبدو من خلال تصريحات اتشيسون مجرد حجاب من حجب الدعاية يشن رأس المـــال الاميركي من ورائه هجومه العالمي في ميادين السياسة والاقتصاد والحرب .

فاذا جئنا الى البـلدان المستضعفة وجدنا ان وعود ترومان للشعوب المتخلفة في مضمار الرقي قـد تقلصت الى بضعة خبراء من الدرجة الثانية في حين ضُرب صفحاً عن التطوير الاقتصادي الفعلي بالكلية .

ولكن وضع برنامج على الورق لابتزاز الارباح الفاحشة من طريق الاستغلال الاستعماري المكثف ومن أجل الحرب المبنية على ذلك الاستغلال شيء ، وتحقيق ذلك البرنامج شيء آخر . وتوقيـــع رجل الدولة السائر في ركاب الاستعمار على وثيقـة يبيع بها بلاده شيء ، وتسليم تلك البلاد الى المستعمرين شيء آخر . فقـد كانت حكومة الكومنتاغ في الصين من اوائـل الحكومات التي وقعت على معاهدة من طراز معاهدات النقطة الرابعة التي تفضي الى التخلي عن السيادة الوطنية الاقتصادية بكاملها للشركات الاحتـــكارية الاميركية . ولكن الشيوعيين الصينيين سارعوا الى تمزيق تلك المعـــاهدة ، واسقطوا حكومة الكومنتاغ ، فذهبت آمـــال وول ستريت ادراج الرياح .

إن حكام البلدان المتخلفة اقتصادياً ليرحبون اليـــوم ببرنامج النقطة الرابعة ، ولكنهم يخشون جميعاً ان يصيروا بسببٍ من ذلك الى ما صار اليه شيانغ كاي تشيك . ورأس المـــال الاميركي

يشاركهم مخاوفهم هذه ، ولكنه لا يستطيع ان يجد حلاً .

وليس ثمة مخرج سهل من هذا المأزق . فبسبب من الاتجاه الشعبي العالمي العنيف نحو الحياة الكريمة والاستقلال الوطني الصحيح صار يتحتم على المشاريع الهادفة الى استعباد الشعوب أن ترتدي لباس الوعود الكاذبة . ولكن إغداق الوعود ثم إخلافها يؤجج من نار المقاومة الشعبية ويعطل جو الانقياد والتراخي في الوطنية الذي ينمو فيه رأس المال الاستعماري ويزدهر .

وعندما يجد الجد يخلي الدجل السياسي مكانه للقوة المسلحة . ذلك ان المؤتمرات والبرامج الاقتصادية تؤدي آخر الأمر الى المحالفات العسكرية ، ومواثيق محالفة الشيوعية ، والغزو المسلح من جانب الاستعمار الأميركي ، كالذي حصل في كوريا .

ولكن النضال العالمي في سبيل حياة افضل قوي الى ابعد الحدود ، فليس في ميسور الدجل السياسي او القوة المسلحة ان يصدا تياره العارم . والذي لا ريب فيه ان شعوب العالم سوف تكسب الحق في التطور الاقتصادي من طريق النضال ضد الاستعمار وضد عملائه الوطنيين .

٥ . ستراتيجية السيطرة على العالم

●

في الحرب العالمية الثانية أيد شعب الولايات المتحدة النضال ضد المحور لينقذ نفسه وشعوب البلدان الأخرى من الخراب على يد الفاشستيين الألمان والعسكريين اليابانيين . وقد اكد رجالنا الرسميون دوافعنا غير الأنانية وزهدنا في ممتلكات الشعوب الاخرى وأراضيها. وهي دعوى صحيحة اذا كان في الكلام اشارة الينا نحن شعب الولايات المتحدة . فالكثرة الغامرة من الشعب الاميركي لا تستسيغ الفتوح الخارجية ولم تكن كذلك في يوم من الايام . أما اذا كانت الاشارة الى الأسر الحاكمة التي تسيطر على شركات النفط والمعادن وعلى مصارف وول ستريت ، فليس من ريب في ان هذه الدعوى كاذبة مائة بالمائة . فقد سعى هؤلاء جميعاً ، طوال الحرب العالمية الثانية ، في سبيل الربح الخيالي سعياً علنياً حثيثاً واندفعوا للاستيلاء ، بواسطة الحرب ، على الممتلكات الاجنبية وعلى مناطق النفوذ في مختلف بلدان العالم . واذ كانت كلمتهم هي العليا في دوائر الدولة المركزية الاكثر حيوية فقد عملت الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلت ، على إشباع شهوات الشركات الاحتكارية الاميركية وسد مطالبها التي

تجاوزت اليوم جميع الحدود والسدود .

فمنذ مطلع الحرب التي شنّها الاستعماران الالماني والياباني ادرك اصحاب الرساميل الاميركية انهم سيكونون هم كاسبيها الرئيسيين . ومن تلك اللحظة تحفّز اولئك الرجال الذي يسروا للمعتدين شن الحرب بما نقلوه اليهم من مقادير ضخمة من النفط ، والآلات، وانواع المعادن، وبقانون الحيادالذي أقره الكونغرس سنة ١٩٣٧ ، وأتلعوا اعناقهم ...

لقد رأوا بثاقب نظرهم ان هذه الحرب ستكون حرباً طويلة الاجل ، كالحرب العالمية الاولى ، وان في ميسورهم ان يجنوا من ورائها مكاسب هائلة وينتزعوا مناطق بومتها مما تملكه الدول الاستعمارية الاخرى ، وبريطانية منها بخاصة ، بوصفها صاحبة اكبر امبراطورية على ظهر هذا الكوكب .

واكتسح النازيون بلدان اوروبة الغربية ، وهددوا من قاعدتهم الصناعية المتسعة انكلترة بالغزو . فاذا الاستعمار البريطاني في حاجة ماسة الى تأييد مادي كبير من الولايات المتحدة ثم الى تأييد عسكري ايضاً ، لكي يبقى على قيد الحياة .

وفرض أمراء وول ستريت شروطهم . وقد رُسمت خطوطها الكبرى في خطابٍ شهير ألقاه فيرجيل جوردان رئيس مجلس المؤتمر الصناعي الوطني قال :

« مهما كانت النتيجة التي ستؤول اليها الحرب فقد اندفعت الولايات المتحدة في اتجاه استعماري في الشؤون العالمية وفي كل مظهر من مظاهر حياتها ... وفي احسن الاحوال ، ستصبح

انكلترة شريكاً ثانوياً في استعمارٍ انكلوسكسوني جديـد تكون فيه موارد الولايات المتحدة الاقتصادية وقوتها العسكرية والبحرية مركز الثقل » *

لقد تكشّف الرئيس فرانكلين روزفلت عن عواطف مناوئة للفاشستية، وسعى الى ان يحسّن احوال الشعوب المستعبدة ، والى ان يقيم علاقات ودّ وصداقة مع الاتحاد السوفياتي . ولكنه لم يكن هو صاحب الكلمة العليا . ذلك ان روزفلت ما كان رئيساً لحكومةٍ شعبية صحيحة ولكنْ رئيساً لجهـــاز حكومي تسيطر بيوتات وول ستريت على مفاتيحـــه العسكرية والديبلوماسية والسياسية جميعاً . لقد كان روزفلت قائداً لهذه القوى ، قائـــداً حكيماً ومعتدلاً ، ولكنه خاضعٌ ابداً لسلطان الطبقة الحاكمة .

كان روزفلت قائداً أعلى للقوات الاميركية ، ولكن توجيـه الحرب كان وفقـــاً لستراتيجية الاستعمار الاميركي التوسعيـــة الاساسية . وطالب روزفلت بستراتيجية عسكرية تستطيع ان تهزم هتلر بأسرع وقت مستطاع، ولكن قادة الاستعمار الاميركي تعاونوا مع قادة الاستعمار البريطاني على إنفاذ ستراتيجية عسكرية قُصد بها الى استنزاف قوى الاتحاد السوفياتي ، واحتلال القوات الاميركية البريطانية معظم المناطق الستراتيجية. وشجب روزفلت سياسة ابتزاز الثروات من المستعمرات وتحدث عن « سياسة الجار الصالح » في اميركة اللاتينية ، ولكن رجـــال وول ستريت —

* Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 18, 1940.

صمنر ويلز ، ونلسون روكفلر ، وجس جونز — وجهوا الحرب بطريقة خليقة بان تقوّي براثن ذلك الابتزاز وتزيد في إفقار اميركة اللاتينية .

وما دامت الولايات المتحدة خاضعة لسلطان رأس المال المالي فيتعين عليها ان تسلك سبيل التوسع الاستعماري ، وتكييف ستراتيجيتها المباشرة وفقاً للاحوال الخاصة المؤثرة في الاستعمار الاميركي والاستعمار العالمي في وقتٍ بعينِه . وقد فسر فيرجيل جوردان ذلك في ما يلي :

« إننا قد نخشى لفظة الاستعمار البغيضة ، غير المألوفة .... وكثيرٌ منا يؤثرون ان يُخفوها ، على الطريقة الاميركية الشائعة ، وراء حجابٍ من عبارة غامضة مثل « الدفاع عن نصف الكرة الغربي » . ولكن اميركة مقدّرٌ لها ان تسلك هذه السبيل ، شعورياً او لا شعورياً ، بحكم مزاجها وقواها ومواردها وبدافع من الاحداث العالمية ، لا في السنوات الاخيرة فحسب ، بل منذ مطلع القرن ... هذه الاحداث قد دفعتنا في هذه السبيل ولم تمنحنا الفرصة لاقامة استعمار حديث ، فحسب ، بل زودتنا بالادوات الاقتصادية والاتجاهات الاجتماعية ، ثم بالعادات والسجايا السياسية المساعدة على ذلك ..... **وليس لنا ، في الحق ، مندوحة عن السير في الطريق التي سلكناها خلال ربع القرن الأخير ، وفي الاتجاه الذي اتخذناه في فتح كوبا والفيليبين ، وفي مشاركتنا في الحروب العالمية الاخيرة .** »*

---

* المصدر السابق نفسه .

توسع الاستعمار الاميركي زمن الحرب

كانت اهداف وول ستريت الرئيسية العاجلة خـــلال الحرب العالمية الثانية إقصاء جميع المنافسين الاستعماريين من نصف الكرة الغربي وفرض السيطرة الاميركية المطلقة عـلى المحيط الهـادىء ، وعلى جزء كبير من الشرق الاقصى . *

ولقد تحققت اهداف وول ستريت في نصف الكـرة الغربي تحققاً كامـــلاً . فمنذ اللحظات الاولى من الحرب اقصي الاستعمار الالماني عن المسرح وكان قد خطا خطوات واسعة في امـــيركة اللاتينية ، وبخاصة في الارجنتين والبرازيل . فصادرت حكومات اميركة اللاتينية الرساميل الالمانية الموظفة هناك، والبالغة نحو مليار دولار ، نزولاً عند اوامر الولايات المتحدة . كذلك صـــادرت الحكومات الاميركية الجنوبية الممتلكات الايطالية واليابانية، ولم تكن على مثل هذه الضخامة . ولم يمض غير طويل حتى اعيد تنظيم كبرى هذه المؤسسات تحت سيطرة وول ستريت المالية. ومن اهم هذه المؤسسات شركات الطيران من مثل شركة خطوط كوندور الالمـــانية وشركة خطوط لاتي الايطالية في البرازيل ، وشركة خطوط سكادتا في كولومبيا . وقد كان لهـذه الخطوة ، في قارة تعتمد اعظم الاعتماد على المواصلات الجوية، اثر بعيد جداً في إحكام

---

* وقد عبر جوردان عن هذه الاهداف بالكلمات التالية : « جنوباً في نصف الكرة الغربي ، وغرباً في المحيط الهادىء ، يتخذ ركب الاستعمار سبيله ؛ وبلغة القوة الاقتصادية الحديثة والاعتبار prestige السياسي ينتقل الصولجان اليوم الى الولايات المتحدة . »

قبضة الاستعمار الاميركي الشمالي على خناق اميركا الجنوبية .

وانتهى الحليف الضعيف ، الاستعمار الفرنسي ، الى مصير مشابه . فقد تقلصت الرساميل الفرنسية الموظفة في اميركا اللاتينية، والبالغة ١٦٠٠ مليون دولار سنة ١٩١٣ ، تقلصاً كبيراً بعد الحرب العالمية الاولى ، ولم يبق منها غير ١٠٠ مليون دولار بعد الحرب العالمية الثانية .

اما الضربة الرئيسية فقد وُجهت ، في نصف الكرة الغربي ، الى خصم وول ستريت التاريخي ، وحليفه زمنَ الحرب ، أعني الاستعمار البريطاني .

فمقابل عددٍ معين من المدمرات أُكرِه البريطانيون على التخلي عن قواعدهم العسكرية الرئيسية في بحر الكاريبيان والسواحل الكندية . ومقابل مقادير بعينها من الاسلحة اضطُروا الى الانسحاب من كثيرٍ من المؤسسات التي كانت لهم فيها اموال موظفة في الولايات المتحدة واميركا اللاتينية وكندا . ولم ينطوِ ذلك دائماً ، في اميركا اللاتينية ، على تحويل الملكية تحويلاً مباشراً الى رأسماليي الولايات المتحدة. ولكن حتى في الاحوال التي بيعت فيها الاسهم البريطانية لاحدى حكومات اميركا اللاتينية ظل المجال متسعاً أمام رساميل وول ستريت لتعمل وتستغل .

ففي كندا كانت الرساميل البريطانية الموظفة تبلغ سنة ١٩٣٩ مليارين ونصف مليار دولار فاذا بها تصبح سنة ١٩٤٧ ملياراً وستمائة مليون دولار ، بينا كانت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك تبلغ اربعة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٣٩ فاذا بها

تصبح خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٧ * . وفي اميركة اللاتينية انحدرت الرساميل البريطانية الموظفة من اربعـــة مليارات ونصف مليار دولار سنة ١٩٣٩ الى مليارين وستمائـــة مليون دولار سنة ١٩٤٩ ، بينا زادت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك من ثلاثة مليارات وسبعمائة مليون دولار سنة ١٩٤١ الى خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٨ ** .

حتى إذا وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت تعريفات المعاملة الفضلى هي كل ما تبقى من الصلات الخاصة التي كانت تربط انكلترة وكندا . ذلك ان سياسة كندا الاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية أمست خاضعة خضوعاً كاملًا للولايات المتحدة . وفي معاملاتها مع كندا انتهت بريطانية اليوم الى ان تواجه بلداً جديداً من بلدان « الدولار » . ليس هذا فحسب بل لقد اصبحت كندا ساحة تدريب لقوات الولايات المتحدة ، وانتقلت ثرواتهـا النفطية والحديدية المكتشفة حديثاً الى الشركات الاحتكارية الاميركية ، انتقالاً آلياً .

وفي اميركة اللاتينية تقلصت الرساميل البريطانية تقلصاً أبعد ، عقب الحرب العالمية الثانية ، بسببٍ من إقدام الحكومات الموالية لواشنطن عـــلى شراء الممتلكات البريطانية . فخلا الجو للاستعمار الاميركي ولم يبقَ له منافس في تلك الديار ، وبخاصة في البرازيل اكبر بلدان اميركة اللاتينية . ولم تحتفظ الولايات المتحدة بشبكة

* Balance of Payments Yearbook, 1938, 1946, 1947,p.101.

** Wythe in Foreign Commerce Weekly, Apr.11,1949,p.42.

البعثات والقواعد العسكرية التي اقامتها هناك ، أثناء الحرب ، فحسب بل وسّعت من نطاقها وقوّت من فعاليتها ايضاً ؛ ثم كان برنامج توحيد الاسلحة فقضى على البقية الباقية من عناصر الاستقلال في تلك البلدان .

وهكذا شهدَ عالمُ ما بعد الحرب هذه القارة بكاملها تستجيب لضربات السوط المتلاحقة في واشنطون . ومن باتاغونيا * الى بافن لاند ** ، دان نصفُ الكرة بالطاعة والولاء لأمراء وول ستريت .

وحسْبنا هذا القدْر من الكلام على توسع الولايات المتحدة جنوبيّ نصف الكرة . فما الذي يمكن ان يقال عن التوسع في اتجاه الغرب ، في المحيط الهادىء ؟

لقد ألمعت الاحتكارات الاميركية الى رغبتها في ان ترث الامبراطوريات الأوروبية في الشرق الاقصى حتى قبل ان تنغمس الولايات المتحدة انغماساً فعالاً في الحرب العالمية الثانية .. والواقع ان النقطة الحرجة التي وقفت عندها المفاوضات الاميركية اليابانية — النقطة التي قالت واشنطون عندها : الى هنا فحسب — كانت الهند الصينية الخاضعة للفرنسيين ! فعندما أعلنت نظارة الخارجية الاميركية الدبلوماسيين اليابانيين ان غزو الهند الصينية سوف يُعتبر عملاً عدائياً ادرك الاستعماريون اليابانيون ، الراغبون هم انفسهم في ابتلاع الشرق الأقصى برمته ، ان الحرب لا بدّ

* اقليم في الارجنتين في اقصى الجنوب من اميركا اللاتينية . [المعرب]

** في شمالي اميركا ، غربي غرينلندة . [المعرب]

واقعة ، وشنوا هجومهم على قوات الولايات المتحدة العسكرية .

وفي خلال سنوات الحرب احتلت الولايات المتحدة جميع الجزر الستراتيجية المهمة في المحيط الهادىء واحتفظت بسلطانها عليها في ما بعد . وأخضعت الفيليبين للاستعمار الاميركي نزلة اخرى واتخذت نقطة انطلاق لفتوح جديدة .

وعلى الرغم من ان الرساميل البريطانية الموظفة في الصين كانت تبلغ أضعاف الرساميل الاميركية الموظفة فيها فقد استبعدت القوات البريطانية استبعاداً كاملاً من جميع العمليات الحربية في الصين . وبعد الحرب حوّلت تلك البلاد — مؤقتاً — الى مستعمرة اميركية على رأسها شيانغ كاي شك .

اما في اليابان فأن الاحتلال الاميركي لم يوجّه ضد الاتحاد السوفياتي والشعب الياباني فحسب بل ضد مصالح بريطانية التجارية والمالية ايضاً . فقد استولت الاحتكارات الاميركية على جميع مراكز التجارة وتوظيف الرساميل المهمة ضاربة بالاحتجاجات البريطانية عرض الحائط . وانشيء بين البيوتات المالية اليابانية وبين وول ستريت تحالف جديد خليق بان يجعل اليابان مستعمرة ذلولاً للولايات المتحدة لولا يقظة الشعب الياباني الذي لا بد ان يقول آخر الأمر كلمته الجريئة الحاسمة .

وبفضل سيطرة الولايات المتحدة على المحيط الهادىء ، والفيليبين ، والصين ، واليابان استطاع الاستعمار الاميركي ان يبسط سلطانه المباشر المطلق على اكثر من نصف سكان الشرق الاقصى وعلى القواعد التي تمكنه من فرض سيطرته على سائرهم .

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع اوزارهـــا حتى صار في ميسور احـــد اعضاء الكونغرس الاميركي ان يزعم ان المحيط الهادئ « هو محيطنا بلا جدال . » * وهكذا تحققت اهــداف جوردان في نصف الكرة الغربي وفي المحيط الهادئ جميعاً .

تلك كانت المناطق الرئيسية التي تم فيها التوسع الاميركي زمن الحرب . ولكن الاستعمار الاميركي 'وفق الى انتصارات اخرى ايضاً ، فاذا بسيطرته على المحيط الاطلسي وعلى الجزائر الواقعة فيه لا تقلّ عن سيطرته على المحيط الهادئ قوةً وشمولاً ، وإذا بــه يهيمن على سلسلة من القواعد العسكرية في غربي افريقية وشماليها ، ويمكّن لسلطانه العسكري والاقتصادي في الشرق الأوسط من طريق النفط السعودي والحيلولة دون وقوعه بأيدي البريطانيين . ليس هـــذا فحسب بل لقد اشترى ، هو والاستعمار البريطاني ، السياسيين والقواد العسكريين المنفيين الذين اعيدوا الى مراكز القوة والسلطان في معظم بلدان اوروبة الغربيـــة وفي ايطالية واليونان .

وهكذا تم إضعاف الاستعمار البريطاني ، وإحالته الى تبَعٍ للاستعمار الاميركي ، على احسن وجهٍ كان يحلم به وول ستريت !.

الاستعمار الاميركي يطمع في توسع غير محدود

ولم تكد الأهداف التي عبّر عنها جوردان تتحقق حتى غدت 'مماتة obsolete ففي خلال الحرب العالمية افسحت هذه الاهداف

* Ed. V. Izac, quoted in Washington Post, Dec.2, 1946.

« المتواضعة » المجال لهدف أبعد : هو السيطرة غير المحدودة على العالم . ولم يكن هذا الهدف نفسه غرضاً مطلقاً طويل الأجل ؛ لقد كان الغاية الستراتيجية للفترة التي ستعقب الحرب العالمية الثانية مباشرةً . وكان الأساسُ الاقتصادي لهذه الستراتيجية نمو الطاقة الانتاجية الأميركية زمن الحرب ، وضغط الأرباح الاحتكارية التوسعي الذي اشرنا اليه في فصل سابق . أما الاساس العسكري لهذه الستراتيجية فكان نمو سلاح القاذفات الثقيلة في اسطولنا الجوي نمواً مسرفاً غير متوازن ، وخلْق شبكة عالمية من القواعد العسكرية لتلك القاذفات ، وبخاصة ظهور القنبلة الذرية بوصفها أفعل الاسلحة التي ابتدعها الانسان ، حتى الآن ، في الاعتداء على جماهير الناس .

والسبيل الفعال لنجاح هذه الستراتيجية تحقيقُ السيادة الاقتصادية والعسكرية على العالم الرأسمالي برمته ، وتعبئة جميع القوى الرجعية في كل مكان تحت قيادة رأس المال الاميركي ، واخيراً شن الحرب على الاتحاد السوفياتي .

وقد نادت بمثل هذه الستراتيجية وعملت من اجلها اكثر الدوائر المالية والعسكرية رجعيةً وتعصباً خلال السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فلم تُطلّ سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ حتى كانت هذه القواعد تؤلف الستراتيجية السائدة المتمتعة بتأييد العناصر الفعالة في دنيا المال .

وكانت الدلالات الديبلوماسية على هذه الستراتيجية هي :

« أ » الدور الرئيسي الذي مثله الاستعمار الاميركي منذ سنة ١٩٤٥

في محاولة اقامة حكومة رجعية مناوئة للاتحاد السوفياتي في بولندة وهي الطريق التـــاريخي لغزو الروسيا . « ب » سعي الولايات المتحدة لضم الارجنتين الى منظمة الامم المتحدة ، في ربيع سنـة ١٩٤٥، خارقةً بذلك المبادىء اللافاشستية التي تجسدت في مفاوضات دومبارتن اوكس تمهيداً لتشكيل منظمةٍ للأمم المتحدة .

اما دلالاتها الاقتصادية فكانت : «أ» قطع مساعدة « الاعارة والايجار » عن الاتحاد السوفياتي بعد هزيمة اليابان مباشرة . «ب» رفض إسداء أيما معونة اقتصادية لاعادة تعمير الاتحاد السوفياتي . « ج » خرق الاتفاق القـاضي بنقل التعويضات بطريق البحر من ألمانية الغربية الى الاتحاد السوفياتي .

واما الدلالات العسكرية فتجلت في « أ » إرجاء فتح الجبهة الثانية حتى سنة ١٩٤٤ رجاة ان يؤدي ذلك الى إضعاف الاتحـاد السوفياتي وإنهاكه . و « ب » إلقاء القنابل الذرية على اليابان ، وهي بادرة لم يكن لها اي ضرورة عسكرية بالنسبة الى تلك البلاد، وانما قُصد بها الى التهويل على الاتحاد السوفياتي ، على ما يُفهم من كلام قاله الرئيس ترومان في بوتسدام اثناء مباحثاته مـع الزعماء السوفيات : « إذا انفجرت هذه القنبلة كما ارجو ان تنفجر فستصبح في يدي مطرقةً أحطم بها رؤوس هؤلاء الصبية » ... *

وقد جاءت جميع التطورات التي تمت منذ ذلك الحين وفق هذه الستراتيجية . وانه ليتعينُ على المرء ان يُلمّ بها لكي يفهم

* Jonathan Daniels, The Man of Independence, p. 266, N. Y., 1950.

تفصيلات السياسة ـ مشروع مارشال ، الحلف الأطلسي، الحرب ضد كوريا الخ ... فلهذه جميعاً مكانها في ستراتيجية السيطرة على العالم ، ولهذه جميعاً مكانها في الاستعداد للمرحلة النهائية من الخطة، اعني الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، والجمهوريات الشعبية في شرقي اوروبة ، والصين .

والحقّ ان هذه الستراتيجية لم تقدّم يوماً الى الشعب الأميركي. ان الناطقين الرسميين بلسان وول ستريت ليواصلون إسماع الشعب نغمات رسالتهم الهادفة الى « زعامة العالم »، ولكنهم يعرضون عليه هذه « الزعامة » ملونة بأروع الأصباغ الأخلاقية لكي يكموا أفواه المعارضين لاصطناع الدولة اداةً لفتح العالم، ويحملوا الشعب الأميركي على الرضا باستعمال القنبلة الذرية ضد العزل والأبرياء .

إسمع الى الرئيس ترومان يقول بلسان محتكري وول ستريت في مناسبات مختلفات :

« **ان العالم ليتطلع الينا اليوم لزعامته... ان جوهر سياستنا** الخارجية هو السلام . » *

« **إن شعوب الأرض ... لتتلعُ أعناقها اليوم الى الولايات المتحدة اكثر مما فعلت في اي وقت مضى ، مكبرة فيها حبها للخير وقوتها وزعامتها الحكيمة . فنحن لم نطمع بأرض احد ،** ولم نفرض إرادتنا على احد.. ان الاستعمار القديم ـ الاستغلال من اجل الربح الشخصي ـ لا محل له في خططنا . » **

* Harry S. Truman, State of the Union Message, Jan. 6, 1949.

** Truman, Inaugural Adress, Jan. 20, 1949.

« وفي صوغ النتيجة سيمثل شعب الولايات المتحدة دوراً رئيسياً . . . إن جميع الناس خُلقوا متساوين . . . وان لهم الحق في الحياة ، والحرية ، والتماس السعادة على قدم المساواة . . . اننا لا نستطيع أن نغضي عن العسف والطغيان . . . ويتعين علينا ان نلقي بثقلنا في كفة الحرية الكبرى والعمل لضمان حياة أفضل لجميع الشعوب . . . [لنرضي] تلك الذات الكلية القدرة التي وضعت امامنا مثل هذه الفرص الضخمة لخدمة النوع الانساني في مقبلات الايام . » *

لا الاستعمار ، ولكن « الزعامة » . . . لا الاستغلال ، ولكن « الحرية والعمل من اجل حياة افضل » . . . لا حرب الفتح المبيّتة ، ولكن « السلام » . تلك هي اذن اغراض الولايات المتحدة !

وقد عبّر عن جوهر الاندفاع الاميركي في سبيل السيطرة على العالم أحسنَ التعبير رجلٌ لم يلعب احدٌ مثل دوره الشخصي في العمل على التمكين للرساميل الأميركية في العالم ، اعني ليو ويلتش Leo D. Weltch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط (نيوجيرزي) الذي صرف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ملياراً من الدولارات وظفتها الشركة في المشروعات الخارجية ، وقبض مليار دولار تقريباً من ارباح تلك المشروعات حتى الآن . . .

ففي اواخر سنة ١٩٤٦ ، بينا كانت الخطوط الكبرى لسياستنا الخارجية رهن التحديد ، تحدث ويلتش ايضاً عن « الزعامة » ولكنه عرّفها تعريفاً أصرح وأوضح ، قال :

---

* Truman, State of the Union Message, Jan. 5, 1950.

« ... تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم ـ سياسية ً واجتماعية ً واقتصادية ً ـ وإن من واجبنا ان نحققها بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . **إن علينا ، بوصفنا اكثر دول الأرض إنتاجاً ، واقواها رساميل ، واغناها بالصناعة الآلية ، ان نحزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا غلك غالبية الأسهم في تلك الشركة الكبرى التي يطلقون عليها اسم العالم** .... وليس ينبغي ان يكون ذلك الى أجل مسمّى . إنه واجب سرمديّ لا يجوز التفريط فيه . » *

لقد تحدث هتلر عن الرايخ الذي سيعمر الف سنة. أما ويلتش فيتحدث عن حكم وول ستريت السرمدي . ولا تسخر من هذه الغطرسة . فقد كان ويلتش منهمكاً في رسم السياسات التي يتعين على وول ستريت انتهاجها ، وهي سياسات اتبعت في امانة واخلاص ، وإنها لتنطوي على خطر حرب عالمية ماحقة .

وحث ويلتش زملاءه من رجال المال على ان يفيقوا من سباتهم الطويل ، وطلب اليهم ان لا يقعدوا بعد اليوم وينتظروا انهيار الرأسمالية ، لأن مصلحتهم تقضي بأن يتخذوا هم موقف الهجوم :

«واذن فالمشروعات المالية الاميركية الخاصة بين امرين اثنين: إما ان تضرب ضربتها وتنفذ مركزها في طول العالم وعرضه، وإما أن تواصل استرخاءها وتشهد جنازتها بأم عينها .... والواقع ان سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة

* Leo D. Welch at National Foreign Trade Convention, Nov , 1946.

رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها ، مما كانت في ايما وقت مضى . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا تلك لا يقل اهمية عن احترام مبادئنا السياسية ... » *

ولكن ما هي الاجزاء الرئيسية التي تؤلف ستراتيجية التوسع غير المحدود ؟ لقد عالج جوردان هذه المسألة منذ سنة ١٩٤٠ فقال:

« إذا راجعنا صفحات الاختبار البريطاني عرفنا بعض الاشياء التي قد تعنيها تبعة الرجل الابيض هذه حين نتصدر لحملها . إنها تنطوي على مسؤولية ضخمة قوامها جمع الموارد المالية التي تستند اليها واستخدامها وحفظها . » **

إن على الدولة ان تعبيء عدة مليارات، كما هو واقع في مشروع مارشال ، لتعزز سيطرة الرساميل الاميركية على البلدان الاخرى. ولكن هذا ليس كل شيء ، « فنحن نعرف من بعض الصفحات الأشد سواداً في التجربة البريطانية خلال القرن الماضي انها تنطوي على الاحتفاظ بقوى بشرية وآلية ضخمة لا لمجرد الدفاع الوطني بل لكي تتم لنا سلطة دولية فعالة ومستمرة تمكننا من إقرار السلم والنظام . » ***

وهكذا يتعين على الاستعمار الاميركي،بوصفه الاستعمار الغالب، ان يسيطر على العالم عسكرياً . إن عليه ان ينشيء قوة مسلحة

---

* المصدر السابق نفسه .

** Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 10, 1940.

*** المصدر السابق نفسه .

هائـــلة لا للدفاع الوطني ، ولكن للعدوان ، لفَرْض سلطان الولايات المتحدة في كل مكان .

ولم يكن في ميسور جوردان ان يتنبأ ، سنة ١٩٤٠ ، بالخصم الألدّ الذي ينبغي على قوات الاستعمار الاميركي المسلحة ان تُوجّه لحربه . حتى إذا انقضت ستّ سنوات لم يبق ثمة تردّد او ريب . فقد أوضح ويلتش لمستمعيه من كبار رجال المال والاعمال بعض العقبات التي تنهض في طريق المستعمرين الاميركيين من مثل نضال العمال في سبيل اجور أعـــلى ومن اجل الاشتراكية ، وكفاح الشعوب المستعبدة من اجـــل التحرر الوطني ، ومقاومة الدول الاستعمارية المنافسة لوول ستريت الذي يعمل عـلى زحزحتها عن مكانتها . ولكن العدوّ الرئيسي كان محدداً أتم التحديد في ذهنه :

« إن جميع هذه القوى لتتضاءل في ظلّ النضال الكبير بـــين الاتحـــاد السوفياتي والدول الغربية ، هـــذا النضال الذي تصل ارتجاجاته الى كل زاوية من زوايا الكرة الارضية . »

٦ . محاولة استعمار اوروبا

•

تحتل اوروبة الغربية المحـــل الاول في برنامج وول ستريت للسيطرة على العالم . ولا غرابة في ذلك فهي تملك صناعةً متطوّرة ويداً عاملةً بارعة خليقتين بان تجعلاها مصدراً من مصادر الربح الفاحش لمن يستطيع ان يهبط بها الى وضع استعماري او شبـــه استعماري . انها ، بما تملك من امبراطوريات قديمة، مفتاحُ السيطرة على قسم كبير من افريقية وآسية. ليس هذا فحسب ، بل ان اوروبة الغربية ، بفضل موقعها ونظام الصناعة والمواصلات فيها ، وقوتهـا البشرية في ميداني الصناعة والحرب ، هي القاعدة المنطقية الرئيسية للحرب المبيتة ضد الاتحاد السوفياتي .

والواقع ان مصالح وول ستريت في اوروبة ليست جديدة . فبعد الحرب العالمية الاولى انفقت حكومة الولايات المتحدة عـدة مليارات من الدولارات لمساعدة المستعمرين الاوروبيين على خنق الثورات في هنغارية وبولندة وفنلندة ، وابتغاء القضاء على الجمهورية السوفياتية الناشئة . حتى اذا توطدت دعائم الحكم الرأسمالي توطداً موقتـاً في القسم الاكبر من اوروبة — وذلك حوالى سنة ١٩٢٣ — وظفت الشركات الاميركية عدة مليارات من الدولارات في

المانية ، وانكلترة ، وفرنسة ، وايطالية ، وغيرها من البلدان الاوروبية .

لقد كان الاستعمار الاميركي من القوة بمحلٍّ استطاع معه ولوج اوروبة ، ولكنه كان لا يزال أعجز من ان يحاول بسط سلطانه عليها . وكانت الرساميل التي وظفها في تلك القارة غير كافية لفرض سيطرة وول ستريت على صناعاتها الرئيسية . كذلك احتفظت البلدان الاوروبية بقوى مسلحة ضخمة وبحياتها السياسية الخاصة . ولم تُقم القوات الاميركية فترةً طويلة في اوروبة بعد انقضاء الحرب العالمية الاولى .

اما الحرب العالمية الثانية فقد نتج عنها توازنٌ جديد في القوى بلغ الاستعمار الاميركي بفضله تلك المرحلة التي عجز عن بلوغها عقب الحرب العالمية الاولى . اعني مرحلة القيام بمحاولةٍ لاستعمار اوروبة. وهكذا عبأت الحكومة ، وفقاً لتوجيهات وول ستريت التي عبّر عنها فيرجيل جوردان * ، عشرات المليارات من الدولارات لتمويل هذه المحاولة ، وقدّمتها في شكل قروض وهبات الى بلدان اوروبة الرأسمالية . اما الشعب الاميركي فقد قيل له ان هذه المليارات أنفقت لأطعام الشعوب الجائعة ، وانقاذ المؤسسات الحرة ، وصيانة استقلال هاتيك البلدان من العدوان . ولكن الغرض الحقيقي كان عكس ذلك .

والاستعمار الاميركي يصطنع أساليب مختلفة في محاولة فتح اوروبة . وتنتظم هذه الاساليبُ الاتفاقات المالية المعقودة مع

* راجع الفصل السابق .

بعض الدول الاوروبية المفردة، ومبدأ ترومان في اليونان وتركية، ومشروع مارشال الذي يستغرق اوروبة الرأسمالية بكاملها وينطوي على انفاق ما يزيد على خمسة عشر مليار دولار ، وحلف شمالي الاطلسي الذي ما برح ينمو ويتسع من حيث نطاق العمل ومداه.

ولهذه البرامج كلها مجموعة واحدة من الاهداف :

١ . السيطرة السياسية على اوروبة ،

٢ . السيطرة الاقتصادية على اوروبة ،

٣ . الاستيلاء على المستعمرات الاوروبية ،

٤ . إعداد القواعد العسكرية للحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

اسلوب الفتح التدريجي

وتصطنع الولايات المتحدة اسلوب الفتح التدريجي لبلوغ هذه الاهداف الاربعة . فاذا اخذنا بريطانية مثلاً وجدنا ان اتفاقية القرض المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ ، لم تفرض عليها غير بعض الشروط العامة . ولكن هذه الشروط اضعفت الاستقلال البريطاني الى درجة حملت لندن على ان ترتضي شروطاً اقسى واعنف ، في ظل مشروع مارشال . وما هي إلا فترة حتى وجدت الحكومة البريطانية نفسها مضطرة الى القبول بحلف شمالي الاطلسي واتفاقات العون التي انطوى عليها .

ولسنا نجانب الحقيقة إذا قلنا ان بريطانية انتهت اليوم الى ان تصبح عضواً في « كومونولث الولايات المتحدة » ، وان استقلالها عن سيدتها قد يكون اوفر بعض الشيء من الاستقلال الذي كان

للهند في الامبراطورية البريطانية القديمـــة ، ولكنه اقل بعض الشيء من الاستقلال الذي تمتعت به اوسترالية في تلك الامبراطورية وليس ذلك ، في الحق ، شيئـاً قليلاً بالنسبة الى دولة كانت سيد البحار في يوم من الايام ...

وسنعالج في بقية هذا الفصل هذا الاستعمار التدريجي لأوروبة من زاوية السيطرة السياسية عليها .

التعاون مع العناصر الرجعية

ان سيطرة الاستعمار الاميركي السياسية على اوروبة الغربيـة بدأت خلال الحرب العالمية الثانية. وتفصيل ذلك ان نضال الشعوب الاوروبية ضد الاستعمار الالماني كان ، في الوقت نفسه، نضالاً ضد الاستعماريين « الوطنيين » الذين تعاونوا مـع الغازي ، وساعدوه على استعباد الشعب .

ففي فرنسة وضعت قوى التحرير المؤيدة من كثرة السكان الكبيرة منهاجاً يهدف إلى تأميم الصناعات الرئيسية وصيانة استقلال البلاد . وفي ايطالية اقرت « لجنة التحرير الوطني » برنامجاً ضخماً ينتظم تأميم الصناعات الاساسية واجراء إصلاح جذري في ما يتصل بملكية الاراضي .

ومثل هذا التوازن في القوى حصل ايضاً في بلدان أوروبـة الشرقية. فهنا سمحت الجيوش السوفياتية للقوى المناوئة للاستعمار بأن تنزل العقاب باولئك الذين تعاونوا مع الفاشستيين ، وأمدت الشعب بالسلاح وبالعون الاقتصـــادي اللذين يمكنانه من توطيد

حكمه وسلطانه .

اما مهمة الجيوش البريطانيـة الاميركية فكانت عـلى خلاف ذلك تماماً : ان تحول دون تحرير البلدان التي احتلتها . ومن هنا اصرّت على تجريد قوى المقاومة الشعبية من السلاح ، وحملت معها قواتٍ كانت الحكومات الرجعية المهاجرة قـــد جمعتها وزوّدتها بالأسلحة الاميركية . ليس هـذا فحسب بل لقد تعاونت الجيوش البريطانية والاميركية ، في جميع المواطن التي احتلتها ، مع جمهرة السياسيين والرأسماليين الرجعيين ورفعتهم الى مراكز السلطـــة والحكم ...

وفي اليونان وبلجيكة جرّدت الجيوش البريطانية جماهـــير الشعب من السلاح ، عنوةً واقتداراً ، وأقامت في الأولى نظاماً ملكياً فاشستياً بقوة الحراب . اما في فرنسة وايطاليـة فارتضت الجماهير ان يُنزَعَ منها سلاحها ، واجريت انتخابات نيابية. ولكن الرجعيين ظلوا يحتلون المراكز الحاسمة في الدولة ...

وطبيعي ان تفقد الحكومات الرأسماليـة التي نصّبها التواطؤ البريطاني الاميركي حرّيتها واستقلالها . فقد كانت خاضعة لسيطرة لندن وواشنطون ، ولسيطرة هذه الأخيرة على الخصوص بعد ان لجأت اليها في طلب المساعدة الاقتصادية والعسكرية ابتغاء إحياء مصانعها والاحتفاظ بامبراطوريتها الاستعمارية .

وإنما تمّ التمكين للقوى الاستعمارية، في معظم اجزاء اوروبة ، بواسطة قواتٍ بريطانية واميركية مشتركة . وقـــد رافق ذلك صراعٌ بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الاميركي للسيطرة على

اوروبة . ولكن الاستعمار البريطاني كانت تعوزه الموارد المالية والعسكرية، فلم يكن بدّ من انكفائه في وجه المنافسة الاميركية. وفي ألمانية دُمجت منطقتا الاحتلال البريطانية والاميركية ، سنة ١٩٤٦ ، بشروط جعلت الاميركيين اصحاب الكلمة العليا بفضل مركزهم المالي المتفوق . كذلك انقلب الاحتلال الانكليزي الاميركي لأيطالية الى سيطرة اميركية مطلقة، وأسلمَ البريطانيون اليونانَ للاحتلال الاميركي (مبدأ ترومان) .

ولم يدشن مبدأ ترومان سياسة العنف الاستعمارية الاميركية في أوروبة فحسب ، بل كان نذيراً بطورٍ جديد من اطوار سيطرة اميركا السياسية المتعاظمة على اوروبة الغربية . فلم تكد حكومة الولايات المتحدة تتدخل في اليونان حتى اصدرت امرهـا بإقصاء الشيوعيين عن جميع الحكومات المؤتلفة في البلدان الخاضعة لنفوذ واشنطون ؛ وفي ربيع ١٩٤٧ أخرج الشيوعيون من حكومات بلجيكة ، وفرنسة ، وايطالية، وتشيلي . وقد أتبعت هذه الخطوة بجملةٍ من الاضطهاد المكشوف وجهتها تلك الحكومات الى النقابات العمالية ، وبموجة من العنف المسلح حاول الحاكمون ان يضعوا بواسطتها حداً لاضرابات العمال المتكررة .

تعاظم السيطرة السياسية

ويلعب مشروع مارشال دوراً كبيراً في اخضاع اوروبة لسيطرة الولايات المتحدة . ذلك بأن جميع الحكومات التي رفعها هذا المشروع الى دست السلطة مستعدة لأن تبيع استقلال شعوبها

نزولاً عند اوامر واشنطون . وإحدى الطرق المؤدية الى ذلك هي توقيع الاتفاقات غير المتكافئة .

والواقع ان الحكومة الفرنسية أذعنت لسلسلةٍ من التنظيمات التي أوحت واشنطون بتطبيقها في المانية الغربية ، والتي ادّت الى تقوية العــدو القديم ، الاستعمار الالماني ، على حساب فرنسة .
وكذلك وقعت جميع الحكومات المشمولة بمشروع مارشال على اتفاقات منفردة مع الولايات المتحدة تنازلت بموجبها عن جزء كبير من سيادتها في الشؤون الداخلية .

وهذه الاتفاقيات تعطي واشنطون الحــق في إيفاد البعثات الخاصة ذات الامتيـازات الديبلوماسية الى البلدان الموقعة عليها .
وتجيز لاعضاء هذه البعثات ولرجال الكونغرس ومساعديهم ان يقصدوا الى كل مكان ، وان يشاهدوا كل شيء ، وان يطلبوا الى حكومات تلك البلدان تسهيل مهماتهم على اختلافها . والحقّ ان بلدان اوروبة الغربية لتغصّ اليوم بالموظفين ورجال الاعمــال الاميركيين الذين يهبطونها في كبرياء السيد وعجرفة المتفضل ، كما كان « السياح » النازيون يفعلون في البلدان التي اعتزم الاستعمار الالماني فتحها . ليس هذا فحسب ، بل إن هذه الاتفاقيات تمنــح حكومة الولايات المتحدة سلطةً فعالة على السياسات المالية الخاصة ببلدان المشروع ، وتحظر على الحكومات الاوروبية حماية رأسماليها من مزاحمة الشركات الاحتكارية الاميركية .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية ان تعطل احكام اتفاقية مشروع مارشال الــتي وقعت عليها خوفاً من نقمة الشعب الفرنسي الذي

يضع استقلاله الوطني فوق كل اعتبار .

وقد تدهش اذا علمت ان اصغر موظف اميركي يقيم في اوروبة باسم مشروع مارشال ليستشعرُ انه حرٌّ في تحـــدّي الحكومة الاوروبية التي يعمل في ظلها ، وانتقادها . وسنجتزيء ههنا بمثل واحد على ذلك. فنزولاً عند إرادة المشرفين على مشروع مارشال، وازنت الحكومـة الايطالية موازنتها وثبتت نقدها على حساب الشعب الايطالي ، ولجأت الى تدابير « توفيرية » مختلفة زادت ازمة البطالة حدّةً وخطراً ، وتركت البلاد مُشرعة الابواب في وجه السلع والرساميل الاميركية . ولكن واشنطون ما لبثت ان رغبت ، خريف سنة ١٩٥٠ ، في ان تشجع انتاج ايطالية الحربي، وهي رغبة تقتضي سياساتٍ مختلفةً بالكلية . فما كان من ليون دايتون Dayton ، رئيس بعثـة مشروع مارشال في ايطالية ، إلا ان شن هجوماً عنيفاً على الحكومة الايطالية لاتباعها تلك السياسات التي أمرت بها حكومته نفسُها في وقت من الاوقات . ومن عجبٍ ان الحكومة الايطالية لم تطالب باقالة هذا الموظف ، بل اكتفت بان دافعت عن مسلكها ، زاعمةً انها قد عملت من قبل على انتهاج السياسة التي يطالبها دايتون الآن بانتهاجها ، وبذلك مهدت السبيل لتكيف نفسها وفق التحول الجديد في السياسة الاميركية * .

وفي الوقت نفسه تقريباً هددت واشنطون بالتوقف عن شحن المساعدات التي يقضي بها مشروع مارشال الى اليونان اذا لم تقلع حكومة تلك البلاد عن « تقصيرها » في تنفيذ بعض التعليمات الصادرة

---

* New York Times, Oct. 3, 6, 1950.

اليها من ادارة المشروع . وما هي الا اسابيع معدودات حتى أعدّ تشريعٌ تبنّت فيه الحكومة اليونانية مطالب الولايات المتحدة.

أما في المانية الواقعة تحت الاحتلال العسكري المباشر ، وفي اليونان الخاضعة لمراقبة « المستشارين » العسكريين والمدنيين فان سلطان اميركا السياسي يذهب الى حدّ تسمية الوزراء ، ورؤساء الوزراء ، واركان الجيش . وفي سنة ١٩٤٩ اقامت الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة دولة المانية غربية تسيطر القوات المحتلة على سياستها التشريعية والتجارية والخارجية وعلى دفاعها الوطني .

« توحيد » اوروبة

وإنما تحاول الولايات المتحدة ان تفرض سيطرتها الاستعمارية على اوروبة الرأسمالية كلها تحت شعار « الوحدة » الاوروبية ، زاعمةً ان دول اوروبة المتعددة أصغر من ان تستطيع الحياة منفردةً وأن عليها ان تندمج في دولة « اطلسية » كبرى تكون الكلمة العليا فيها لواشنطون .

ويعقد الاستعماريون الاميركيون مقارنةً مغلوطة بين هذه الوحدة الاوروبية والاتحاد الفدرالي القائم بين ولاياتنا الاميركية. ذلك بان تلك الخطوة إنما تمّت في فترة مبكرة من الرأسمالية عندما اندمجت عناصر شعبٍ ذي اقليم مشترك ، ولغة مشتركة ، وثقافة مشتركة ، واقتصاد مشترك ، في دولة واحدة قضى تطوّر الرأسمالية تطوراً كاملاً بقيامها . وقد اجتازت مختلف الدول الاوروبية هذه المرحلة نفسها منذ زمن طويل ، فمر بها بعضها قبل

الولايات المتحدة ، ومر بها بعضها الآخر بعدها بقليل .

والواقع ان لينين نادى بالوحدة الاوروبية خــلال الحرب العالمية الاولى . وقد انطوت دعوته لا على دمــج الشعوب ذات اللغة المشتركة واساوب العيش المشترك في وحدة سياسية ، بل على تزاوج الامم ذوات اللغات المختلفة،والثقافة المختلفة ، والاقتصاديات المختلفة في وحدة سياسية مفردة . ففي ظل الرأسمالية لا يُعتبر دمج الامم المختلفة في دولة واحدة خطوة تقدمية ، بل خطوة رجعية . انها تنطوي من غير ريب على سيطرة الأمم الكبرى على الامم الصغرى ، وهو ضرب مقنّع من الاستعمار .

والواقع ان الاستعماريين الاميركيين سعوا، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سعياً حثيثاً لتوحيد اوروبة الرأسمالية : فاجريت محادثات" لالغاء الحواجز الجمركيــة ، وانشاء مجلس لأوروبة ، ومنظمة للتعاون الاوروبي الاقتصادي . ولكن هذه الجهود كلها تحطمت على صخرة الخلافات القائمة بين مختلف المجموعات الاوروبية الرأسمالية ، وحرص الشعوب الاوروبية على استقلالها الوطني .

وقد شكا جون فوستر دولز ، احد واضعي التصاميم البارزين لفرض سلطان وول ستريت على العالم ، من هذا الاخفاق وعبّر عن عزم الاستعمار الاميركي على دمج الدول الاوروبية بعضهــا ببعض ، زاعماً ان لنا « الحق » في ذلك « لاننا قد وظفنا رساميل هائلة في اوروبة الغربية » و « بسببٍ من روابط الدم التي تصل ما بين شعبنا وشعوب اوروبة . » وهو يصر على ضرورة اصطناع « الضغط القوي" » للتغلب على مقاومة الشعوب لهــذا المشروع ،

عاذراً اولي الامر الاوروبيين الذين صرحوا له بان شعوبهم لا تسمح لهم بان يخطوا الخطوة الأولى في سبيل الوحدة الاوروبية و « ان الولايات المتحدة يجب ان تدفعنا . » ولم يخيب دولز آمال هؤلاء الساسة فاذا هو يقول في صراحة بالغة : « ليس في وسعنا ان نتشبث في هذه الفترة الخطيرة ، باهداب الرسميات . ونحن لم نبذل ما بذلناه من جهود جبارة في الغرب، عقب الحرب العالمية الثانية ، لنكسب مباراةً في الشعبية ... فالشعبية ، حتى لو استطعنا ان نشتريها باموالنا،لا تستحق ان يُنفق من اجلها ٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . ثم اننا لا نتمتع بشعبية حسنة في هذه الأيام ... اننا نرغب في ان نقوم بمهمة كاملة حتى يكون في ميسورنا ان نتركها بعدُ ونوجه اهتمامنا وعوننا المادي نحو الاوضاع الملحة في مواطن اخرى ، وبخاصة في المحيط الاطلسي والشرق الاقصى . » *

والواقع ان محاولة توحيد اوروبة على طريقة دولز واتشيسون لتقومُ من وجهة النظر السياسية على اساس إحياء الصناعة الالمانية العدوانية ، كما جرى بعد الحرب العالميـــة الاولى ، ولكن مع هـذا الفرق ، وهو ان امراء وول ستريت لن يكتفوا هـذه المرة باحياء الصناعة الالمانية ولكنهم عازمون على ان يفرضوا سيادتهم على الرور ، ومن ثم على اوروبة الرأسمالية كلها. والمكانة الرئيسية التي تحتلها المانية في خطط وول ستريت إنما تتجلى بشكل صارخ في تصريحات الناطقين باسم رأس المـــال الاميركي، من هربرت هوفر سنة ١٩٤٦، الى اتشيسون سنة ١٩٤٧، الى دولز سنة ١٩٥٠.

---

* John Foster Dulles, War or Peace, p. 215, N.Y., 1950

واسباب هذا الاهتمام كله بالمانية متعددة. فالاحتلال العسكري الصريح يجعل منها قاعدة ممتازة للعمليات الحربية. والرساميل الاميركية الموظفة في المانية الغربية اليوم تفوق الرساميل الاميركية الموظفة في بريطانيــة بعض الشيء ، وتبلغ اضعــاف تلك الموظفة في ايمــا بلد اوروبي آخر. ومن طريق هـــذه الرساميل ، ومن طريق المحالفــات الاقتصادية الدولية تمّت لوول ستريت صلات وثيقــة باصحاب المصارف والمصانع في الرور. من اجل ذلك ، وبسبب من طاقته الاقتصادية الضخمة ، غدا الرور قاعدة مثالية لاستعمار اوروبة القارية برمتهــا . اضف الى ذلك ان المانية الغربيــة هي معقل الفاشستية والضباط النازيين الراغبين في الثأر لهزيمتهــم في الحرب العالمية الثانيــة ، العاملين في خـــدمة الخطط الاستعمارية الاميركية لشن حرب عالمية على الاتحاد السوفياتي. وطبيعي ان يكون الرور هو المركز الرئيسي لكل دار صناعة او ترسانة arsenal تنشأ في اوروبة لشن تلك الحرب. ليس هذا فحسب ، بل ان إحياء الرأسمالية الالمانية في ظل وول ستريت وتحت اشرافه خليق بان يُنزل الى الميدان منافســاً قوياً للاستعمار البريطاني، وبان يقيم توازناً في القوى تستطيــع الخطط الاستعمارية الاميركية ان تُخضع بواسطته الخصمين المتصارعين ، لسلطانها ، وهكذا يوضع الاستعماريون البريطانيون ، بفضل الوحدة الاوروبية ، في مركز يقضي عليهم بان يتنافسوا مع اصحاب الرساميل الالمانية عـــلى شرف الحصول على لقب الشريك الصغير لوول ستريت !!...

٧ · السيطرة الاقتصادية على أوروبة الغربية

●

وتجري سيطرة اميركة السياسية على اوروبة الغربية جنباً الى جنب مع سيطرة رأس المال الاميركي الاقتصادية على تلك البقعة من العالم .

ومن خلال الاتفاقات والخطط والصفقات التي وضعت بلدان مشروع مارشال تحت سلطة الولايات المتحدة تبدو للباحث بضع ظواهر عامة :

١ . لقد قُصِد في كل من هذه الاتفاقات والخطط والصفقات ، الى ضمان ربحٍ عاجلٍ ضخم للشركات الاحتكارية الاميركية .

٢ . لقد أخذ بعين الاعتبار في كل منهـــا إضعاف الاقتصاد الاوروبي وتقويض آساسه ، واستغلال طبقة العمال الاوروبيين استغلالاً إضافياً ، ومساعدة وول ستريت على امتلاك الصناعات الاوروبية .

٣ . ان الهدف النهائي الذي ترمي اليه هذه الاتفاقات والخطط والصفقات جميعاً هو تحويل صناعة اوروبة الغربية الى ترسانة يسيطر عليها امراء وول ستريت ويفيدون منهـــا في حال نشوب حرب عالمية جديدة .

وسنبحث فيما يلي بعض الخطوات الرئيسية في هذه العملية .

المبالغة في اغراق الاسواق

ان عشرات المليارات التي تألفت منها قروض الولايات المتحدة وهباتها بعد الحرب العالمية الثانية ، جعلت من اوروبة الغربية حقلاً مضموناً لاستهلاك الفائض من المنتجات الاميركية الصناعية والزراعية . والواقع ان ما بين ٦٠ الى ٨٠ بالمئة من مجموع صادرات الولايات المتحدة من الحبوب وفستق العبيد (الفول السوداني) ومنتجات النحاس والقمح والطحين والقطن والتبغ خلال التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٤٩ أرسلت الى البلدان المشمولة بمشروع مارشال *

وهذه الصادرات كلها لم تُرسَل الى تلك البلدان لان شعوبها في حاجة اليها ، ولكنها ارسلت لان الاحتكارات الاميركية التي تريد التخلص منها، على ما يؤخذ من شهادة ادلى بها الكولونيل اندروز المسؤول عن تأمين الاغذية في شعبة التموين المدني التابعة للجيش الاميركي في المانية :

الكولونيل اندروز :الحق انهم لا يستطيعون ان يبيعوا هذا الفول السوداني في الولايات المتحدة لسبب واحد وهو غلاؤه ... انه غذاء جيد وإنه لتصنعُ منه زيوت ودهون ممتازة ، ولكن ليس ثمة مكان على ظهر هذا الكوكب يمكن ان يُرسل اليه هذا الفول

* E. C. A. 18 th Report for the Public Advisory Board, Dec., 1949. cover page.

السوداني لو لم نأخذه نحن .

النائب الجمهوري تابر (نيويورك) : بمثل ذلك السعر .

الكولونيل اندروز : اجل بذلك السعر ، إن لم يُرسل الى المانية . لقد كان على الجيش ان يأخذه من دون سائر الناس .

النائب الجمهوري غاري (فرجينيا) : هل تعني انهم أبوا ان يبيعوكم منتجات اخرى ما لم تشتروا فستق العبيد هذا ؟

الكولونيل اندروز : لكي نحصل على حصة من هذه الزيوت من وزارة الزراعة أظن ان من الصواب الزعم انـــه كان علينا ، عملياً ، ان نقول : « لا بأس ، سنأخذ مقداراً من فولكم السوداني . » لقد التمستُ منهم ان يعطوني بعض شحم الخنزير واضرابه فكان جوابهم : « لن نسمح بتصدير أيما كمية من شحم الخنزير ؛ ان في استطاعتك ان تأخذ كمية من فستق العبيـد . » وهكذا قلت : « إذن أعطونا إياها ... » *

والواقع ان المنتجات الفائضة التي أغرقت بها ألمانية سنة ١٩٤٨ اشتملت على ٢٣٦،٩١٤،٠٨٦ رطلاً (انكليزياً) من فستق العبيد غير المقشور ، و ٤٤٣،١٠٩،٠٧٨ رطلاً من الخوخ والعنب والتين والدراق والمشمش المجفف و ١٠،٨٠١،٤٢٤ من العسل . وحتى هذه المقادير كلها لم ترض اصحاب الجنائن الذين وفدوا على واشنطون في اوائل سنة ١٩٤٩ وهدّدوا بقطع ٢٨ بالمئة من اشجارهم المثمرة إذا لم تزد السلطاتُ المشرفة على مشروع مارشال الكميات التي

* Foreign Aid Appropriations Bill for 1950, Hearings cited, pp. 914-15.

تصدّرها من الفاكهة المجففة .

وليس من ريب في ان موجة التصدير هـذه لم تساعد شعوب البلدان الداخلة في نطاق مشروع مارشال بـل اوقعت بها اذى كبيراً . ذلك انها انقصت الإنتاج المحلي في أوروبة ، وضيقت نطاق الاستيراد من البلدان الاخرى . ليس هذا فحسب بل ان جماهير الشعب في الدول الاوروبية لم يكن في ميسورها ان تشتري السلع الاميركية لان السياسات التي فرضتها واشنطون ، بالتعاون مع الاحتكارات الاوروبية ، قضت بانقاص قوة العمال الشرائيـة الى حدٍ جعلهم عاجزين عن دفع الاثمان الغالية المحددة لتلك السلع .

وهاك مثلاً على ذلك : لقد رُكّز شحن الحبوب الأميركية الى ايطالية تركيزاً متعمداً في الفترة القصيرة التي سبقت انتخابات نيسان ١٩٤٨ . حتى إذا وصلت الشحنات الى الموانىء الايطالية استقبلها السفير الاميركي والموظفون الايطاليون بحملة صاخبة من الدعاية اديرت على محور اطعام الشعب الايطالي الجائع ...

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ كشفت برقية مرسلة الى « صحيفة التجارة » Journal of Commerce النيويوركية النقاب عن مصير تلك الحبوب . وقد جاء في هذه البرقية ان اربعين بالمئة من الشحنات التي تلقتها إيطالية خلال الخمسة عشر شهراً الاولى من تنفيذ مشروع مارشال ظلت غير مبيعة حتى نهاية تلك المدة . وبلغت النسبة حداً اعلى من ذلك بكثير في اصنافٍ من البضائع مخصوصةٍ ، كالحبوب والعقاقير وغيرها . وقد علقت « صحيفة التجارة » على ذلك بقولها : « إن عجز الشعب الايطالي عن شراء قسم كبير من المنتجات

المرسلة اليه من قبل «ادارة التعاون الاقتصادي» قد خلق للحكومة الايطالية مشكلة رواج يصعب حلها . »

ولسنا في حاجة الى التأكيد ان الاحتكارات الاميركية قد جنت ارباحاً استثنائية من هذه السياسة . فقد بيعت هذه البضائع من شعوب اوروبة باسعار أغلى من الاسعار العادية، وساعد تصديرها السخي على إيجاد جو من «القصور» shortage المصطنع في الولايات المتحدة نفسها استغلته الاحتكارات الاميركية لرفع الاسعار فوق مستوى القمم التي بلغتها ايام الحرب طوال سنوات متعددة . . .

خفض الاجور

ومن الخطوات الاساسية في استعمار اوروبة إنقاص الأجور الحقيقيـة للعمال الاوروبيين وإنقاض ظهورهم بالعمل الثقيل بحيث ترتفع نسبة استغلالهم الى المستوى الذي بلغته في المناطق المستعمرة ونصف المستعمرة . وفي ذلك ما يفسح المجال امام الرأسماليـين الاميركيين لانتزاع الارباح الفاحشة المألوفة من المشروعات الاجنبية .

ومما يدلك على ان نية الولايات المتحدة متجهة الى خفض مستوى العيش في اوروبة شهادة" ادلى بها بول هوفمان Hoffman ، مدير مشروع مارشال ، امام لجنة من اعضاء الكونغرس :

«اذا اعتزمنا ان نمد اوروبة بالدولارات ، واعتزمت اوروبة ان تبلغ ما نستطيع ان ندعوه المستوى المغلوط في العيش فعندئذ لا تكون العاقبة خـيراً . وهكذا سعينا الى ان نقيم سقوفاً لمستويات العيش . »

وحدّد مساعـده ريتشارد بيسيل Bissell ، تلك « السقوف »
على الوجه التالي : **المطعم** – « هنا نستطيع ان تتخـذ سنة ١٩٣٨ سقفاً او حداً اعلى » ؛ **المسكن** – « ادنى بما كان عليه في السنوات السابقة للحرب» ؛ **الملبس وبضائع الاستهلاك** – «إن استهلاك هذه السلع يجب ان يخفّض ، في معظم الأحوال ، الى ما دون المستوى الذي كان عليه قبل الحرب على الرغم من تعاظم الحاجة اليها بسبب من ان الأوروبيين حرموها ، او كادوا ، خلال سنوات الحرب العجاف . » *

وهكذا قدّر على طبقة العمال الأوروبيين التي عانت ما عانته طوال عشـــر سنوات من الازمة الاقتصادية وخمس سنوات من الحرب ان تقاسي آلاماً اعمق في ظل الاستعمار الاميركي الحديث!

أما الاساليب الـــتي أصطنعها امراء وول ستريت لكبت مستوى العيش فتشمل تجميد الاجور (وفرضها على العمال بالرصاص عند الاقتضاء) ورفع الاسعار ، وإثقال كاهل الطبقـة العاملة في اوروبة بالضرائب الفادحة ، والنفقات العسكرية الباهظة ، وخفض قيمة النقد خفضاً متكرراً ...

ولننظر في النتيجة التي آلت اليها هـذه الاساليب في انكلترة – شريكة الاستعمار الاميركي الصغرى – التي لا تزال تحصل على غنائم وافرة مـــن امبراطوريتها الاستعمارية . ولنعتمد في ذلك شهادة الدكتور فيتزجيرالد، الخبير الزراعي في مشروع مارشال ، الذي وصف حالة الغذاء في بريطانية كما كانت في اوائل سنة ١٩٤٩،

* Foreign Aid Appropriations Bill for 1950.pp. 58-59 .

قبل تخفيض قيمة الجنيه ، وقبل التعبئة العسكرية التي أمرت بها واشنطون سنة ١٩٥٠ ، فقال :

« ... إنّ التغيير الذي طرأ على نوعية الأغذية ليتجلى لنا إذا ألقينا نظرةً على بعض التغيرات التي ألمّت بمواد الغذاء الفردي . فبالنسبة الى ما كانت عليه الحال قبل الحرب نجـد ان متوسط استهلاك الفرد في المملكة المتحدة من مادة البطاطا قد ارتفع ٦٥٪ وان متوسط استهلاكه من الخبز زاد نحواً من ٢٥ ٪ في حين أن متوسط الاستهلاك الفردي من اللحم والسكّر والدهن والزيت (وبخاصةٍ اللحم) قد تدنّى تدنياً كبيراً. فقدبلغ مجموع ما استهلكته بريطانية سنة ١٩٤٨ – ١٩٤٩ من اللحم نحـو ٧٠٪ مما كانت تستهلكه في السنوات السابقة للحرب؛ اما الآن ، وابتداء من مطلع نيسان، فقد انخفض متوسط استهلاك الفرد البريطاني من اللحم الى درجة ادنى مما كان عليه في ايما وقتٍ مضى منذ اندلاع الحرب . »*

فاذا كان العمال البريطانيون يعانون من صرامة مشروع مارشال اكثر مما عانوا خلال سنوات الحرب فليس من ريب في ان الحالة في البلدان الاوروبية الاخرى يجب ان تكون اسوأ من ذلك بكثير .

ففي المانية الغربية كانت نسبة الاجور الحقيقية، في حزيران سنة ١٩٤٩ – وفقاً لأدق الاحصاءات وأجدرها بالثقة – ١٣ ونصف ٪ أدنى من مستوى سنة ١٩٣٨ ** وكانت آنذاك قد انخفضت الى

* المصدر السابق نفسه ص ٣٠٨ .

** Office of Military Government for Germany (U. S.), Report of the Military Governor, Berlin, Aug.-Sept. 1949, p. 124.

ما دون مستوى الازمة الذي انتهت اليـــه سنة ١٩٣٢ ، بفضل تجميد هتلر للأجور .

واليك صورة عن الحياة في فرنسة كما رسمها الرأسمالي البارز ، أريك جونستون ، في مقال له :

« ليس من المبالغة ان نقول ان هوامش الربح نادراً ما تكون اقل من ٥٠ ٪ و كثيراً ما ترتفع الى ما فوق المئة بالمئة ، ولكن كثرة الشعب تكاد تشكو العوز والحرمان. إن الاغنياء ليزدادون اليوم غنىً ، وان الفقراء ليزدادون اليوم فقراً . والنتيجة النهائية لهذا الوضع يمكن ان تكون العنف – الفوضى – الشيوعية . » *

ويعترف تقرير رسمي اصدرته ادارة مشروع مارشال ان الاجور الحقيقية في خريف سنة ١٩٤٨ انتهت الى ان تكون ، في منطقة باريس ، دون مستوى ما قبـــل الحرب ، بنسبة ٥٠ ٪ . كذلك انخفض متوسط استهلاك الطعام ١٨ ٪ ، واكثر من ذلك بالنسبة الى العمال . ** وبعد ان يصف التقرير الاحوال البائسة التي يعيش العمال الفرنسيون في ظلها يخلص الى القول : « وقد ادى ذلك الى اثارة حفيظة العمال ، وهو يفسّر لنا تعاظم قوة الشيوعيين في الحقل السياسي ، وفي « اتحاد العمل العام » على السواء . »

وفي عددها الصادر في ٣١ آذار سنة ١٩٥٠ قارنت مجـــلة «U. S. News and World Report» المحافظة بين الحياة المترفة التي تحياها الطبقة الحاكمة في ايطالية وبين حياة العمال الذين يبلغ متوسط

---

* Eric Johnston in Fortune, Feb., 1949, p. 120.

** E. C. A., France, Country Study, Feb., 1949, p. 11.

اجر الواحد منهم اربعة دولارات ونصف اسبوعياً ، وحياة المزارعين الذين لا يزيد متوسط دخل الواحد منهم على مئة دولار سنوياً . *

ويتجلى لك اثر الاحتكارات الاميركية في هذا الفقر المدقع حين تقارن ما بين نِسَب الأجور الاميركية ونِسَب الأجور الاوروبية . ففي سنة ١٩٣٨ كانت اجور العمال البريطانيين والألمان والهولنديين تبلغ نصف اجور العمال في الولايات المتحدة تقريباً. حتى إذا دخلت سنة ١٩٤٩ صارت اجور العمال البريطانيين لا تكاد تبلغ ربع اجور زملائهم الاميركيين ، في حين امست اجور العمال الالمان خُمس الاجور الاميركية ، واجور العمال الهولنديين سدسها تقريباً . **

محو الاقتصاد الوطني .

يزعم الناطقون بلسان واشنطون ان من همهم ان يساعدوا الدول الاوروبية على إنماء إنتاجها ، في حين ان اصحاب الرساميل المالية الاميركية يهدفون ، في الحقيقة ، الى إضعاف جميع مرافق الاقتصاد الوطني التي يمتلكها الاوروبيون انفسهم والقضاء عليها — وقد نجحوا في ذلك نجاحاً جزئياً — لكي يسيطروا على السوق الاوروبية سيطرةً كاملة ويركزوا نشاط العمال الوطنيين في

---

* U. S. News and World Report, Mar. 31. 1950.

** اعتمدنا في هذه الارقام على منشورات مختلفة أصدرها المكتب الاميركي لاحصاءات العمل ، ومنظمة الامم المتحدة ، ومكتب الحكومة العسكرية الاميركية في المانية . [المؤلف]

العمل لحساب المشروعات التي تملكها الولايات المتحدة .

والواقع ان إغراق السوق الاوروبية بالمنتجات الزراعية قد رافقه حرمانها من المعدات الزراعيـة ابتغاء الحؤول دون نهوض الزراعة الاوروبية من كبوتها. فخلال السنة الاولى من مشروع مارشال طلبت البـلدان الداخلة في المشروع ان تزوّدهـا الولايات المتحدة بمعـدّات زراعية تبلـغ قيمتها ٣٧٠ مليون دولار * . فوافقت وزارة الخارجية الاميركية على إمداد بلدان المشروع بما قيمته ١٣٣ مليون دولار . أمـا ما شُحِن فعلاً من هذه المعـدات حتى ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٩ فـلم تزد قيمته على ٤٠ مليون دولار . في حـين بلغت قيمـة ما شُحِـن الى بـلدان مشروع مارشال من التبغ ١١١ مليون دولار ** اي ثلاثة أضعاف قيمة المشحون من المعـدات الزراعية تقريباً ، وذلك على حساب الاسواق الطبيعية للتبغ اليوناني والتركي .

ولقيت ضروب الصناعة التي يملكها الاوروبيون معاملةً مماثلة. ومن افضل الأمثلة على ذلك محاولة وول ستريت القضاء على شركات الزيت الوطنية وصناعات الفحم التي يملكها الاوروبيون...

وقد فصّلنا الكلام في الفصل الثاني على توسّع الشـركات الاميركية في إنتاج النفط توسعاً كبـيراً ، وبخاصة في الشرق الأوسط . ولـكي تحقق هذه الشركات الربح الذي تطمع فيه من

---

* Commitee of European Economic Cooperation, General Report, Vol. I. Paris, Sept., 1947. (in U. S. Dept. of State Publication 2930), p. 114.

** E. C. A., Paid Slipments, June, 30, 1949, p. 9.

وراء ذلك التوسّع تعيّن عليها ان تحاول السيطرة على المصافي والاسواق الاوروبية ، وعلى حساب الشركات الوطنية ، والبريطانية الهولندية منها بخاصة . والحق ان مستر ويلتش امين صندوق شركة ستاندرد أويل وزملاءه الذين احتاجوا الى مبدأ ترومان لكي يوطدوا مكانتهم في الشرق الأوسط كانوا في أمسّ الحاجة الى مشروع مارشال لكي يستكملوا تلك المكانة في اوروبة. ولم يطلّ صيف سنة ١٩٤٨ حتى كانت شركات النفط الاميركية تواجه ازمة حادة ناشئة عن الافراط في الانتاج . وعندئذ تصدّر مشروع مارشال لنجدتها وإسعافها .

ومن عجب ان الشركات الأميركية تبيع نفط الشرق الأوسط في اوروبة —وهو لا يقتضيها غير نفقات دانية نسبياً— بنفس السعر المحدّد لنفط تكساس محققة ارباحاً استعمارية فاحشة . ولكي تفيد هذه الشركات اعظم الفائدة من اسواق مشروع مارشال المضمونة فقد عملت على مضاعفة مصافيها القائمة في اوروبة اربعة امثال او يزيد.

وما هي إلا فترة حتى خضعت بلدان اوروبة القارّية لسلطان شركات النفط الاميركية المطلق . أما الاستعماريون البريطانيون فقاوموا هذا السلطان وحاولوا ان يحدّوا ، في مطلع سنة ١٩٥٠ ، من استيراد النفط الذي تملكه الرساميل الأميركية . فما كان من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وعلى رأسهم الشيخ توم كونالي ، إلا ان شنوا حملة شعواء على « سياسة التمييز هذه . » ليس هذا فحسب بل لقد اتخذت تدابير اقتصادية صارمة للانتقام من البريطانيين ،فلم تمض غير اشهر معدودات حتى القى البريطانيون

السلاح على اساس الشروط التي فرضتها الشركات الاميركية .
إنهم لم يسمحوا للشركات الأميركية بان تستثمر نحو ٥٠٪ من
اسواق المملكة المتحدة فحسب، بل فتحوا في وجهها اسواق المنطقة
الأسترلينية التي كانت من قبل موصدة دونها .

وكان لتدفق النفط الأميركي اثره التدميري السيء في صناعة
الفحم الأوروبية . ذلك ان اوروبة الفقيرة الى النفط تملك ثروة
من الفحم ضخمة . ومنطق الاشياء يقضي بان تقتصد البلدان الاوروبية
– اذا ما ارادت ان تستعيد استقلالها – في استعمال البترول
وتُنفق جهداً جباراً للافادة الكاملة من مواردها الفحمية . ولكن
إخضاع اوروبة لمشروع مارشال قاد هذه القارة في طريق معاكسة
فاذا بالنفط يحلّ محلّ الفحم في سرعة لم يُسبق الى مثلها من قبل،
وإذا بانتاج الفحم في البلدان التي ينتظمها مشروع مارشال ينقصُ
في سنة ١٩٤٩ بنسبة ١٢٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧ *

الدولار يستعبد اوربة

تذهب الدعاية الاميركية إلى ان الغرض من « المعونة » التي
تقدمها الولايات المتحدة الى البلدان الأوروبية مساعدةُ هذه البلدان
على موازنة تجارتها الدولية وتحقيق استقرارها المالي . والواقع ان
الولايات المتحدة إنما تهدف من وراء ذلك الى ان تزيد في عدم
توازن تجارة اوروبة الدولية ، وتضعف من طاقتها المالية ،
وتفرض عليها سلطان الدولار ومصارف وول ستريت الكبرى .

* Monthly Bulletin of Statistics, Apr. 1950.

وإنما بدأ إضعاف الطاقة المالية الاوروبية في المراحل الاولى من الحرب العالمية الثانية ، عندما أكرهت انكلترة ، وفرنسة ، وهولندة وغيرها على ان تتنازل عن جزء من ذهبها وكثير مما تملك خارج بلادها من اموال ، مقابل حصولها على بعض الاسلحة والذخائر . وفي الوقت نفسه صادرت الحكومة الاميركية او الدول السائرة في ركابها الرساميل الالمانية واليابانية والايطالية الموظفة في الخارج ، في سهولة ويُسر .

واتسع نطاق هذه العملية عندما زحفت الجيوش الاميركية على اوروبة في اواخر الحرب العالمية الثانية. ذلك ان الضباط والجنود الاميركيين شرعوا يبيعون سلع الجيش من المواطنين الاوروبيين الذين كانوا في أمسّ الحاجة اليها . وقد بيعت هذه السلع بأسعار فاحشة وبالنقد الاوروبي المتدهور، ثم جاءت حكومة الولايات المتحدة فكافأت ابطال هذه السوق السوداء بأن حولت محصولهم الى دولارات على اساسٍ من الاسعار الرسمية للعملات الوطنية . واكرهت حكومات اوروبة الغربية على ان تعترف بتلك المليارات من الدولارات ديناً للولايات المتحدة عليها. وبعد مدة من الزمن انتزعت الولايات المتحدة بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية الخطيرة مقابل شطب هذه « الديون » شطباً جزئياً .

وفي مدى سنة أو سنتين من انتهاء الحرب استُنفد كامل الاحتياطي الذي خلفه الاستعماريون الاوروبيون من طريق شراء السلع من الولايات المتحدة بأسعار باهظة ، وفي وقتٍ عدمت فيه

اوروبة الانتاج الصناعي الذي يساعدها على أداء قيمتها .

ووضع امراء وول ستريت نصب اعينهم ، وهم يوزعـــون قروض مشروع مارشال ، هدفاً رئيسياً هو الحؤول دون إنهاض اوروبة من كبوتها الاقتصادية . وليس يمتري اثنان في ان تحقيق التوازن في تجارة اوروبة الدولية يقتضيها ان تشتري أقل قـــدر ممكن من السلع من الولايات المتحدة ، وأكبر قـدر ممكن من السلع من البلدان الاخرى ذات المصلحة في ان تشتري من اوروبة الغربية بعض منتجاتها وأن تبيعها شيئاً من منتجاتها في وقت معاً . ومع ذلك فقد أكرهت البلدان الاوروبية ، بعد ان اشترط عليها منظمو القروض الاميركية ذلك ، على ان تشارك في مفاوضات التعريفات والتجـــارة التي جرت برعـاية الشركات الاحتكارية الاميركية . وكانت النتيجة التي انتهت اليها هـذه المفاوضات أن اخذ الرأسماليون الاميركيون على شكل امتيـازات ، أكثر من ثلاثة اضعاف ما أعطوا *، وأن فتحت في وجوههم اسواق اوروبة وأسواق البلدان التي كان يسيطر عليها الرأسماليون الاوروبيون في ما غبر من سنين .

وأهم من هذا كله محاولة الاستعمار الاميركي القضاء على التبادل التجاري في ما بين اوروبة الرأسمالية واوروبة الاشتراكية . فبعد ان انتزع الاستعمار الاميركي من يد المستعمرين الاوروبيين أجزاء كبيرة من أسواقهم المستعمَرة ونصف المستعمَرة ، وانـــتزعت

* U. S. Dept. of State announcement in New York Times, Dec. 9, 1949.

حركات التحرر الوطني من ايديهم كثيراً من اسواقهم الآسيوية ، حاول هؤلاء المستعمرون الاوروبيون ان يعوضوا على انفسهم من طريق التجارة مع الأسواق النامية في الاتحاد السوفيـاتي والديموقراطيات الشعبية . ولكن احد الشروط التي انطوت عليها اتفاقيات مشروع مارشال اكره دول اوروبة الرأسمالية على ان تقاطع العالم الاشتراكي ، اقتصادياً ، محرّماً عليها ان تبيع بلدان هذا العالم شيئاً ما ، من العقاقير الطبيـة إلى الآلات الكاتبة ، بوصفها « مواد حربية » ! وعلى الرغم من ان كثيراً من الرأسماليين الأوروبيين وُفقوا إلى خرق هذا الحصار الاقتصادي الذي ضربته واشنطون على بلدان الكتلة الشرقية فقـد استطاعت السياسة الأميركية ان تعطل التجارة في ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربية تعطيلاً كبيراً وبذلك خطت خطوات واسعة في سبيل ما تسعى اليه من تقويض الاقتصاد الاوروبي الرأسمالي من آساسه .

والواقع ان احد التقارير الرسمية الصادرة عن منظمـة الأمم المتحدة ، سنة ١٩٤٨ ، هاجم أعنف الهجوم تدخل الولايات المتحدة في شؤون التجارة ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربيـة . وأنذر التقرير بانه إذا لم تقلع الولايات المتحدة عن سياستها هـذه فسيبقى الاقتصاد الاوروبي الوطني على حاله الحاضرة من العجز ، وستبقى بلدان اوروبة في حاجة ماسة الى المساعدات الخارجية *.

ومن طريق استنزاف احتياطي الذهب الاوروبي ، وتعطيل التجارة الاوروبية الدوليـة نجح أمراء وول ستريت في إضعاف

* U. N. Economic Survey of Europe in 1949, p. 164, Geneva, 1949.

العملات الاوروبية . وبقي عليهم ان يضربوا ضربتهم التي تفقد هذه العملات اعتبارها، وتكرهها على الخضوع للتخفيض المتواصل، وتجعل الدولار وحده النقد المقبول في العالم الرأسمالي .

وفي نيسان ١٩٤٩ شنّت الحكومة الاميركية هجومها على الجنيه البريطاني . وقد جاء في «صحيفة التجارة» ما نصه :

« ان الولايات المتحدة تتخذ من خطر انحطاط الاقتصاد الأميركي سلاحاً قوياً في ضغطها المتكرر على الدول الأجنبية لتخفيض عملاتها ... وقد جعلت من « إدارة التعاون الاقتصادي» وسيلتها لشنّ هجومها الامامي على بلدان اوروبة الغربية اولاً . » *

وبعد ذلك بقليل قصد وينتروب آلدريتش ، وهو من رجال الـ « تشايس ناشيونال بنك » (روكفلر) ، الى لندن ليقدّم الى حكومة العمال الشروط الاميركية . ولم يكتف الاميركيون بإلغاء نصف مشترياتهم من بريطانية فحسب بل أجّلوا دفع قيمة البضائع التي سبق ان أرسلت اليهم ايضاً . ولم يكد يطلّ شهر ايلول حتى اضطرّ البريطانيون الى تخفيض سعر الجنيه من اربعة دولارات وثلاثة في المئة من الدولار (٤٫٠٣) الى دولارين وثمانين في المئة من الدولار (٢٫٨٠) ، وتخفيض سائر عملات الكتلة الاسترلينية بالنسبة نفسها . وما هي إلا فترة حتى خفضت معظم الدول الرأسمالية الاخرى قيمة عملاتها .

وفي سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان على المملكة المتحدة ان

---

* Journal of Commerce, Apr. 4, 1949.

تزيـــد صادراتها بنسبة السدس عمّا كانت عليه قبل الحرب لـكي تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات * . اما في شباط سنة ١٩٥٠ ، وبعد تخفيض سعر الجنيه ، فقد تعين عليها ان تزيد صادراتها بنسبة الربع عما كانت عليـــه قبل الحرب لـكي تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات . **

وهـــذا التخفيض في سعر العملات الاوروبية جعلَ أجور العمال الاوروبيين أرخصَ في حساب الدولار ، ورخّص قيمة المصانع الـــتي يملكها الاوروبيون فصار في ميسور الرأسماليين الامـــيركيين ان يشتروها في سهولة ويسر ، واضاع ما بقي من ثقة الناس بالعملات الاوروبية .

---

* Economic Survey of Europe in 1949. p. 98.

** Economist Records of Statistics Supplement, Apr. 1, 1950 p. 299.

٨ . الولايات المتحدة ترث الامبراطوريات القديمة . . .

●

إن محاولة استعمار أوروبة لاتقف عند حدودها القارية. فجميع الخطط الاميركية الرامية الى إخضاع الدول الاوروبية تشمل مستعمرات هذه الدول وأنصاف مستعمراتها ايضاً . وكل كسبٍ يحققه الاستعمار الاميركي في اوروبة يضعف من النفوذ الاوروبي في المستعمرات . وعكس ذلك صحيح ايضاً . فكل كسبٍ يتمّ لوول ستريت في المستعمرات يجعل السيطرة على اوروبة الرأسمالية أسهل وأيسر .

والواقع ان الحرب العالمية الثانية كانت ، جزئياً ، صراعاً من أجل الاستيلاء على هذه المستعمرات واقتسامها من جديد. فاحتلت ألمانية ، موقتاً ، اوروبة الشرقية وجزءاً من شمالي افريقية . واستولى اليابانيون موقتاً على عدةٍ من اغنى المستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية والاميركية في آسية . وعند انتهاء الحرب حاول البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والاميركيون ان يستعيدوا مستعمراتهم السابقة ويضموا اليها غيرها على حساب خصومهم المغلوبين وعلى حساب بعضهم بعضاً .

ومهما يكن من امر فلم تستطع ايٌّ من الدول الاوروبية

ان تسترجع امبراطوريتها السابقة برمتها . فكانت اميركا هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي عادت عليها الحرب بكسب ما . وقد رأينا في الفصل الخامس كيف استغل امراء وول ستريت الحرب لانتزاع بعض القواعد العسكرية من حلفائهم والاستيلاء على كثير من اموالهم الموظفة في ما وراء البحار . وقد ذهبوا الى ابعد من ذلك ، في ما بعد، على حساب حلفائهم السابقين وحساب اعدائهم في وقت معاً .

ولكن هذه التعديلات في ميزان القوى لم تكن ابرز نتائج الحرب واهمها . ذلك ان المكاسب التي تمت لحركة التحرر الوطني المناوئة للاستعمار هي اعظم شأناً وابعد اثراً .

فقد أخرجت هذه المكاسب من جريدة البلدان المنكوبة بالاستغلال الاجنبي عدداً من دول اوروبة الشرقية وأحفل بلاد العالم بالسكان: الصين . وانقصت غنائم الاستعمار في عدد من البلدان التي لا يزال النضال المسلح دائراً فيها ، من مثل بورما والملايو (بريطانية) ، وفيات نام (فرنسة) ، وكوريا والفيليبين (الولايات المتحدة) .

وإذ كان الاستعماريون البريطانيون والفرنسيون وغيرهم أعجز من ان ينهضوا بأعباء هذه المشكلات كلها فقد تقدمت الولايات المتحدة لسد الثغرة ورأب الصدع ، من طريق مشروع مارشال، والحلف الاطلسي وغيرهما . إنها تقدم الى حليفاتها مساعدة حاسمة ابتغاء توطيد الحكم الاستعماري او فرضه من جديد ولكنها تطالب مقابل ذلك بحصة كبيرة من الغنيمة الاستعمارية ، فتجاب مطالبها في سهولة ويسر .

والواقع ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الدولار يُضعف من الاحتكار المالي الذي كان اصحاب المصارف الاوروبيون يفرضونه على مستعمراتهم وانصاف مستعمراتهم. وفي ختام عام ١٩٤٩ كانت اليونان ، والنرويج ، واسرائيل ، وايران ومصر قد انفصلت عن الكتلة الاسترلينية وطفقت تعتمد اعتماداً يختلف قوةً وضعفاً ، على بيوتات المال النيويوركية . وهذا يعني نقصاً في دخل المصارف اللندنية ، ويعني ان كثيراً من التسويات الدولية يجب ان تتم بالذهب او بالدولارات بدلاً من ان تتم بالاسترليني وغيره من العملات الأوروبية .

ثم ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الموارد الاميركية يضعف من احتكار الرساميل المالية الاوروبية للتجارة وتوظيف الاموال في المستعمرات . وقد ظهرت هذه النزعة ، اول ما ظهرت، خلال الحرب العالمية الثانية عندما اضطرت الدول الاوروبية الى الاخذ بمبدأ «الحرية والمساواة» في الحصول على المواد الاولية كشرط من شروط قانون الاعارة والايجار. ونظراً لتفوق الطاقة الاقتصادية الاميركية لم يكن في ميسور الدول الاوروبية ان تحدّ من مزاحمة الاميركيين لمواطنيها إلا بأقامة حواجز خاصة. وقد اتخذت عملية تحطيم هذه الحواجز شكلاً خاصاً عقب الحرب العالمية الثانية .

وانطوت اتفاقيات مشروع مارشال على امتيازات استعمارية ايضاً . فقد ضمنت للافراد الاميركيين وللشركات الاميركية الحق في الافادة من المواد الاولية التي تكثر في المستعمرات على قدم

المساواة مع ابناء الدولة الاوروبية المستعمرة أنفسهم . وواضح ان في هـذا الوضع والارباح الفاحشة التي عاد بها على اصحاب الرساميل الاميركيـة ما زاد في تبعية الاقتصاد الاوروبي لوول ستريت وخضوعه لسلطانه .

وليس من ريب في ان عجز الدول الاجنبية عن كبت حركة التحرر الوطني من غير مساعدة اميركا وضع في يد واشنطون سلاحاً من اقوى الاسلحة وأمضاها . فبريطانية وفرنسة وهولندة محتاجة في حروبها الاستعمارية الى المساعدة الاميركية الماليـة ، والى الاسلحة والذخائر الاميركية ، واخـيراً الى القوات المسلحة الاميركية . ولكن الاستعمار الاميركي لا يستطيع هو ايضاً ان يكسب هذه الحروب وحده . ومن هنا فان ستراتيجية واشنطون لا ترمي الى الاستيلاء المباشر على جميع هذه المستعمرات في الحال . وانما ترمي الى إبقـاء اجزاء واسعة من العـالم المستعمر تحت سلطة الجيوش الاوروبية الاسمية في حين تحوّل الرأسماليين الاوروبيين الى شركاء ثانويين لوول ستريت في هذه المستعمرات، وفي اوروبة نفسها ايضاً .

مبدأ ترومان والشرق الاوسط

عندما تحدث ليو ويلتش عن ضرورة تصدُّر الولايات المتحدة لزعامة العالم كله سارعت الحكومة الاميركية الى إثبات زعامتها هـذه في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالبترول . ففي آذار سنة ١٩٤٧ أعلن الرئيس « مبـدأ ترومان » مؤكداً ان حكومته

ستتدخل ، في أيما بقعة من العالم، «لتساعد الشعوب الحرة على تقرير مصيرها بطريقتها الخاصة» ... ولكن تطبيق هذا المبدأ ما لبث ان اظهر مقدار ما انطوى عليه من تدليس وتضليل . فقد طلب ترومان اعتمادات ضخمة لتأييد الحكومتين اليونانية والتركية ، وكلتاهما ديكتاتورية فاشستية !

وذهل الشعب الاميركي لدن سماعه بهذا التطبيق الأولي لمبدأ ترومان . ذلك ان الفظائع التي ارتكبها الجنود البريطانيون والقوات الفاشستية اليونانية ضد الشعب اليوناني كانت قد أثارت اعظم الاستياء في الولايات المتحدة . وفي سنة ١٩٤٥ كان مستر ستاتينيوس ، وزير الخارجية آنذاك ، قد اعلن حيدة الولايات المتحدة بين القوات الشعبية اليونانية من جهة ، والقوات البريطانية والملكية الفاشستية من جهة اخرى . حتى اذا اثيرت مسألة تدخل الولايات المتحدة في اليونان ، أول مرة ، إثارة علنية قبل بضعة اسابيع من إذاعة مبدأ ترومان أصر نفر من زعماء مجلس الشيوخ الاميركي على ضرورة إحجام الولايات المتحدة عن مد يد المساعدة الى الملكية اليونانية أو تأييد السياسة البريطانية في الشرق الاوسط. وابدت الصحافة عطفها على القوات الشعبية باكثر مما أبدت عطفها على الملكيين . لقد نظر الاميركيون الى فظائع الرجعة الفاشستية في اليونان على أنها جزء من سياسة بريطانية الاستعمارية التي يتعين على الولايات المتحدة أن لا تشارك فيها .

والواقع أن «مبدأ ترومان» يمثل بدء تقدم الاستعمار الاميركي الى احتلال مركز الصدارة الاقتصادية والعسكرية في الشرق

الاوسط بكامله .

فقبل اعلان مبدأ ترومان كانت القوات البريطانية المسلحة تقوم بدور المدافع عن المصالح البريطانية وعن المصالح الاميركية النامية في الشرق الاوسط . ولكن الاستعمار البريطاني لم يعد في وسعه ان ينهض بهذه المهمة. ففي سنتين اثنتين أنفقت بريطانية ٣٤٨ مليون دولار في اليونان .ولكن لا الدولارات،ولا الثانية آلاف جندي بريطاني المقاتلون في اليونان ، ولا القوات الملكية الفاشستية المزودة بالسلاح الانكليزي ، ولا موارد « الاونرا » الاميركية استطاعت ان تقف تيار الحركة التحررية الوطنية العارم .

وفي نهاية شباط اعلمت الحكومة البريطانيـــة حكومة الولايات المتحدة ان إخضاع الشعب اليوناني قد اعجزها وأعياها ، وانها في حاجة الى مساعدة الولايات المتحدة في ذلك . فلم يكن من الاستعمار الاميركي الا ان اعلن استعداده لحماية مصالحه الخاصة حيثما تقضي الضرورة ، مضاعفاً ارباحه الفاحشة من طريق الحلول محل بريطانية في المراكز الستراتيجية ذات الخطر .

ومن وجهة النظر العسكرية تهيمن اليونان وتركية على ثروات النفط الضخمة الكامنة في الشرق الاوســـط كما تهيمن المواقـع العسكرية الاميركية في بحر الكاريبيان على ثروات النفط وموارد الاغذية في الاميركيتين الوسطى والجنوبية .

وفي ٥ آذار سنة ١٩٤٧ وضع مراسل النيويورك تايمس ، سولز بيرجر ، النقاط على الحروف فقال :

« إن مصالح الولايات المتحدة في اليونان ليست مجرد عواطف.

فاليونان تتحكم في ستراتيجية المتوسط الشرقي . ولو قد اصبحت اليونان شيوعية إذن لانكشف جناح تركية ، سياسياً ، ولم يعد في ميسورها ان تقاوم الضغط الروسي العنيف . وبدون تركية تنهار مقاومة إيران في الحال .

« إن للولايات المتحدة مصالح اساسية في الشرق الاوسط ، لأنه في تلك المنطقة تقوم المملكة العربية السعودية ، وفي المملكة العربية السعودية من النفط ما قد يفوق الاحتياطي الذي تملكه الولايات المتحدة . » *

ولكن اليونان وتركية ليستا « القشرة الصلبة » التي تحمي امبراطورية الشرق الاوسط النفطية فحسب ، ولكنها قاعدتان حربيتان لفتوحٍ جديدة ايضاً ، على ما يؤخذ من تصريحٍ ادلى به المستر فورستال ، وزير الدفاع ، امام لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ قال :

« إن المنطقة المترامية الاطراف ما بين جبل طارق والمحيط الهندي ذات اهمية حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة ... أعني أنها حيوية من ناحية عسكرية اولاً ، وحيوية من ناحية اقتصادية الى حدٍ ما في الدرجة الثانية . » **

وهكذا تخلت الامبراطورية البريطانية عن « خطها الحيوي » التقليدي للامبراطورية الاميركية ، ولاغراض حربية في الدرجة

* New York Times, Mar. 5, 1947.

** Investigation of the National Defence Program, Hearings, Special Committee U. S. Senate, 80 th Congress, Part 41, p. 25290, 1948.

الاولى .

وكحصيلة ثانية by-product لهذه الاعتبارات الواسعة حُوّلت بلاد اليونان الى معسكر اعتقال للشعب اليوناني ، والى مصدر من مصادر الربح الفاحش للشركات الاميركية .

والواقع ان هذه الشركات حكرت السوق اليونانية حكراً حقيقياً ، وحكرت جميع الاعمال الهندسية الضخمة التي أجريت في اليونان بوصفها جزءاً من الحملة العسكرية. فسيطرت «شركة التلفون والتلغراف الدولية» على نظام المواصلات؛ وهيمنت «شركة التبغ الاميركية» على أهم مورد من موارد البلاد : التبغ ؛ وحكرت شركة .T. W. A الخطوط الجوية ؛ وتولت «شركة أولن» مهمة إرواء اثينا وبيروس بمياه الشفة . *

ورفعت الشركات الاميركية نسبة استغلال اليد العاملة اليونانية الى المستوى الاستعماري . فبينا جُمّدت الاجور عملياً زادت نفقات المعيشة ١٣٠٠ بالمئة في ما بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ليس هذا فحسب بل لقد حُلت نقابات العمال وحُل الحزب الشيوعي بصورة رسمية .

ولكن موارد الولايات المتحدة كلها عجزت عن ان تكسب للفاشستية اليونانية نصراً معجلاً . واخيراً حلت الهزيمة بالقوات الشعبية ، في خريف سنة ١٩٤٩ ، وكان ذلك بمساعدة قوات تيتو اليوغوسلافية .

---

* Gouvernement Démocratique Provisoire de Grèce, Deuxième Livre Bleu, p. 23, 1949.

وفي خلال المدة القصيرة التي استغرقها هذا الصراع (١٩٤٧– ١٩٤٩) انفقت حكومة الولايات المتحـــدة ٧٩٧ مليون دولار لاخضاع الشعب اليوناني* تضاف الى ما سبق ان أنفقه البريطانيون وأنفقته « الاونرا » من اجل الغرض نفسه من قبل .

ولكن الولايات المتحدة لم تكتف بما تمّ لها في تركية واليونان من سلطان ومكاسب . فلم تكد دولة اسرائيل تظهر الى الوجود حتى ضمها الاستعمار الاميركي الى امبراطوريته الواســـعة سياسياً واقتصادياً .

فتح افريقية

لم يُسهم رأس المال الاميركي المالي، قبل الحرب العالمية الثانية، بغير نصيب ضئيل في استغلال الشعوب الافريقية . والواقع ان خمسة بالمئة من تجارة افريقية الخارجية كانت مع الولايات المتحدة، وان ثلاثة في المئة من الرساميل الاجنبية الموظفة في افريقية كان يملكها مواطنون اميركيون ، ليس غـير . وكان القسم الاكبر من الأموال الاميركية العاملة في افريقية والبالغة ٢٠٠ مليون دولار موظفاً في مشروعات شركة فايرستون للمطاط ، في ليبيريا، وفي بعض شركات النحاس في روديسيا وجنوبي افريقية .

ولكن امراء وول ستريت المتصدين للسيادة على العــــالم ما كانوا ليسمحوا باستمرار هذا الوضع ، خاصة وأن إفريقية تُعَـدّ

* Survey of Current Business, Mar. 1949, p. 20; Apr. 1950, p. 20.

المنفذ الاول لمليارات الدولارات من رأس المال الفائض، والمصدر الجديد الافضل لمجموعة كبيرة من المواد الحربية الستراتيجية .

وبينما يتعاون الرأسماليون الاميركيون والاوروبيون ويوحدون ما بين رساميلهم لاستغلال إفريقية نجد ان مشاركة اميركا في هذا الاستغلال تتعارض والمطامع الاوروبية ، على العموم ، والبريطانية على الخصوص . ذلك ان الاقطاب من رجال المال والاعمال البريطانيين يأبون مقاسمة منافسيهم الاميركيين تلك الخيرات العظيمة التي يجنونها من آخر معقل بقي في ايديهم ، إلا على كرهٍ منهم واضطرار . وهم على الرغم من خضوعهم للضغط الاميركي ينفقون غاية الجهد لابطاء الغزو الاميركي لافريقية وصد تياره بمختلف الوسائل .

واتخذت الولايات المتحدة تدابير جدية للقضاء على هذه المقاومة اثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما مكنتها الفرصة من إنشاء قواعد عسكرية وصلات تجارية في بلدان افريقية المختلفة . وفي ما بين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٨ قفزت تجارة الولايات المتحدة مع افريقية من ١٥٠ مليون دولار ، الى ١٢٠٠ مليون دولار ، وهذا الرقم الاخير يمثل نحواً من ١٥ ٪ من تجارة افريقية الخارجية كلها * .

واليوم يضع مشروع مارشال وبرنامج النقطة الرابعة اسلحة جديدة ماضية في ايدي امراء وول ستريت يستعينون بها على فتح افريقية . والحق ان جزءاً من اموال مشروع مارشال يصرف لتغطية نفقات الرواد

* Foreign Commerce Weekly, Mar. 6, 1950; Economic Survey of Europe in 1948, insert table; U. N. Statistical Yearbook, 1948, table 132.

والمكتشفين الذين توجههم الولايات المتحدة، وفقاً للتقليد الاستعماري العريق، الى افريقية لكي يمهدوا السبيل لشركات التعدين والحملات العسكرية . وفي تموز سنة ١٩٤٩ صار في ميسور « إدارة التعاون الاقتصادي » ان تذيع في الناس : « ان الخبراء الاميركيين ، ومن ورائهم مساعدات مشروع مارشال ، يسبرون اليوم غور افريقية من جبال الاطلس حتى رأس الرجاء الصالح بحثاً عن الثروة الزراعية والمعدنية . » *.

واقتضت الولاياتُ المتحدة ثمن ذلك اتفاقاتٍ خاصةً سمحت للرساميل الاميركية بالعمل في افريقية . جاء في تقرير لـ « إدارة التعاون الاقتصادي » ايضاً :

« لقد فُتحت الآن تلك الابواب التي كانت موصدة في وجه الرساميل الاميركية ، فهي تسهم اليوم في إنتاج الرصاص في افريقية الشمالية الفرنسية ، وفي إنتاج الصفيح في الكاميرون الفرنسي ، وفي إنتاج الرصاص والزنك في الكونغو الفرنسي ، وفي إنتاج النيكل في كاليدونية الجديدة **، وفي إنتاج الالومنيوم في سومطره ***

ومن الصفقات النموذجية التي عقدتها الولايات المتحدة اخيراً تلك التي قضت بان تقدّم « إدارة التعاون الاقتصادي » قروضاً معينة الى إحدى شركات إنتاج الرصاص المراكشية (Mines des Zellidja) في حين تشتري شركة نيومونت الاميركية للتعدين حصةً

* Financial Times, London, July. 9, 1949.

** احدى جزر المحيط الهادىء ، وتقع شرقي استرالية . [المعرب]

*** E. C. A., A Report on Recovery Progress and United States Aid, p. 231, Feb. 1949.

في الشركة وتدير اعمالها .

وأفاد وول ستريت من تخفيض سعر العملات الاوروبية سنة ١٩٤٩ في انتزاع امتيازات استعمارية جديدة . والواقع ان المؤتمر المالي البريطاني الاميركي الكندي المنعقد بواشنطون في ايلول سنة ١٩٤٩ ، أقرّ ضرورة التعجيل في انشاء لجنة من اصحاب المصارف البارزين في تلك البلاد لتسريع توظيف الرساميل الاميركية في المستعمرات البريطانية .

وبعد شهرين اثنين انشئت لجنة مماثلة من ابرز اصحاب المصارف الفرنسيين والاميركيين « لتيسير تطوير البلدان التي يتألف منها الاتحاد الفرنسي في ما وراء البحار » ... *

إن اصحاب المصارف ليسعون الى تكثيف استغلال الشعوب الافريقية . من اجل ذلك يتعين عليهم ان ينشئوا الطرق والسكك الحديدية والموانىء التي تمكنهم من نقل مقادير اضخم من المواد الاولية . وهذا كله خليق بان يزيد في حصة وول ستريت ايضاً لان المراكز الاوروبية يعوزها المال الضروري لتنفيذ هذا البرنامج فهي مضطرة الى قبول المساعدة الاميركية .

وفي خلال شهر حزيران ١٩٥٠ قدمت « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً ضخمة لشراء معدات اميركية لانشاء الطرق ابتغاء استعمالها في الكونغو البلجيكي ، وثلاثٍ من المستعمرات الافريقية الفرنسية ، وخمس من المستعمرات الافريقية البريطانية . وليست هذه غير بداءة . فقد وُضعت الخطط لانشاء شبكةٍ من

* Journal of Commerce, Nov. 30, 1949.

السكك الحديدية واسعة . والخبراء الاميركيون يُعدون العدّة لانشاء خط حديدي يمتد على الف من الاميال ويصل ما بين روديسيا ، وتانكانيكا ، وكينيا والشاطيء الافريقي الشرقي . وتعتزم « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تنفق نحو مليار دولار على تطوير وسائل المواصلات جنوبي الصحراء الكبرى . * ليس هذا فحسب ، بل لقد اقترح احد الشيوخ الاميركيين (السناتور جونسون) ان ترصد حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من الدولارات لفتح افريقية من طريق برنامج النقطة الرابعة. ومما يلفت النظر ان مختلف البرامج والخطط الاميركية المتصلة بافريقية لا تكلف نفسها عناء التظاهر ، مجرد التظاهر ، بالعمل على خدمة الشعوب الافريقية البائسة .

ومهما يكن من امر فقد وفقت الولايات المتحدة الى ان توظف ، حتى الآن ، رساميل مهمة جداً في افريقية ...

وقد تمّ جزء كبير من التوسع الاميركي في جنوبي افريقية وروديسيا من طريق عدد من الشركات الانكليزية والاميركية . واقدم هذه الشركات هي « الشركة الانكلو اميركية » التي اتسعت ممتلكاتها اتساعاً عظيماً منذ الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٦ تشكّل اندغام رأسمالي آخر ، لأعادة تقسيم افريقية باسم « شركة توظيف الرساميل الاميركية الانكلو ترانسلفانية » . ولم تدخل سنة ١٩٥٠ حتى كانت هذه الشركة

* Crown Colonist, Apr. 1950.in New Africa. Capetown May-June 1950.

الدولية قد امتلكت حصصاً ضخمة في عشرٍ من الشركات الكبرى في جنوبي افريقية ، بالاضافة الى حصص أصغر من ذلك في شركات اخرى كثيرة .

وبمعونة قروض مشروع مارشال ، تعمل شركة المعادن والمواد المعدنيـــة ، وهي تمثل اندغام الرساميل الاميركية بالرساميل الفرنسية ، في استخراج الحديد من مناجم كوناكري ، في افريقية الغربية الفرنسية . وفي سنة ١٩٤٧ بسط اصحاب الرساميـــل الاميركيون سيطرتهم على شركة الاطلس المراكشية للتعدين التي تنعم بشبه احتكار لمناجم الرصاص في جبال الاطلس . كما كسبت شركة نفط الخليج (ميلون) حصة تبلغ ٦٥ ٪ في شركة فرنسية تملك امتيازاً النفط في تونس .

ليس هذا فحسب بل لقد فرضت « شركة الفولاذ الجمهوري » سيطرتها على مناجم الحديد في ليبيريا مشاطرة شركة فايرستون في امتلاك تلك الجمهورية الدمية ، وانتزعت شركة نفط الخليج امتياز البترول في موزامبيك ، المستعمرة البرتغالية القائمـــة على الساحل الشرقي الجنوبي من افريقية ، كما حصلت شركة سنكلير للنفط على امتياز بترولي في الحبشة .

والكثرة الكبيرة من الأورانيوم الذي ينتجه اعظم مناجم هذا المعدن في الدنيـــا ، منجم شينكولوبوي Shinkolobwe في الكونغو البلجيكي ، تذهب اليوم الى الولايات المتحدة .

ولن ينقضي طويل وقت حتى يؤدي احتكار وول ستريت لهذه المادة المهمة وتزايد نصيبه من تجارة الكونغو البلجيكي الى امتلاكٍ

جزئي لمناجم الكونغو الغنية .

والحق ان غزو الرساميل الاميركية الافريقيـة ينقض اوضح النقض اسطورة « نزعة الولايات المتحدة اللا إستعمارية » . ففي كل مكان من هـــذه القارة تدفع الشركات الاميركية الى العمال الافريقيين الاجور المعتادة التي تتراوح مابين العشرين سنتاً والدولار الواحد يومياً ، وتساند اكثر الحكومات الاستعمارية الافريقيـة تعسّفاً وجوراً .

ولكن شعوب افريقية لم تعد عاجزة أو غير منظمة . ذلك ان نقابات العمال المناضلة ، وكثير منها منتظم في اتحـــاد النقابات العالمي ، لتثير اليوم وعياً صحيحاً عند العمال الافريقيين . وإن في الاضرابات التي يقوم بها هؤلاء العمال لتعبيراً صارخاً عن رغبتهم في حياة جديدة من الحرية والكرامة ... *

ليس هذا فحسب. بل إن القبائل المتناثرة أخذت تتحد في أمة إفريقية عملاقة تستغرق معظم اجزاء القارة . وقد عجزت عمليات القتل الجماعي التي يقوم بها البريطانيون والفرنسيون وقوات افريقية الجنوبيـــة المسلحة في مدغسكر، وشاطىء الذهب، وروديسيا ، ونيجيريا ، وجنوبي افريقية ، عن كبت هذه الحركة وصدّ تيارها.

مستقبل الاستعمار في آسية

حاول الاستعمار الاميركي ، طوال خمسين سنة ، ان يفرض سيطرته عـلى التجارة الصينية . وفي سنة ١٩٠٠ اتخذت حكومة

* Alpheus Hunton in Masses and Mainstream, Jan. 1949, N. Y.

الولايات المتحدة من الفيليبين قاعدة عسكرية وشاركت في القضاء على ثورة البوكسر (وهي انتفاضة صينية في وجه الاستعمار) ، ثم اعلنت سياسة « الباب المفتوح » التي تسمح لهـــا بأخذ نصيبها من الغنيمـــة . . . وفي الخمسين السنة التي تلت ، ابدت الشركات الاميركية نشاطاً بارزاً في الصراع من اجل الامتيازات ، ولكن معظم هذه الجهود تكسرت، برغم تأييد وزارة الخارجية الاميركية لها ، على صخرة السلطان البريطاني والياباني المتفوّق في الشرق الأوسط .

وبعد الحرب العالميـة الاولى تعاظم نفوذ الولايات المتحدة في الصين وأخذ مواطنوها يمثلون في تلك البلاد دور السادة الاجانب، شأن البريطانيين والفرنسيين واليـــابانيين . كذلك خفرت سفنها الحربية نهر اليانغتسي وساعدت على قمع ثورة ١٩٢٥ — ١٩٢٧ . وازدادت الرساميل الاميركيـة الموظفة في الصين ولكنها ظلت أقلّ من الرساميل البريطانية واليابانية الموظفة فيها .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية فمنحت الولايات المتحـدة تفوقاً عسكرياً مطلقاً على الاستعمار البريطاني والياباني في الصين . كانت القوات الاميركية تحتل المرافىء ، وكانت القاذفات الاميركيـة تربض في المطارات ، وكان الضباط الاميركيون يقودون جيوش شيانغ كاي تشيك . ليس هذا فحسب ، بل لقد غدت الخزينـــة الصينية تعتمد اعتماداً كلياً على الخزينة الاميركية، وصار في ميسور الموظفين الاميركيين ان يقرروا ما الذي ينبغي للصين ان تشتريه، وما الذي ينبغي لها ان تبيعه ، وبأية شروط .

وهكذا بررت سياسة الباب المفتوح نفسها ، آخر الامر . فقد فُتحت ابواب الصين على مصاريعها في وجه الرساميل الاميركية وأوصدت من دون المنافسين جميعاً .

ولكن النصر جاء متأخراً جداً . ذلك ان الشعب الصيني كان قد بنى قوة تحررية تكفل له الفوز على الاستعمار والمستعمرين جميعاً .

والحق ان حكومة الولايات المتحدة انفقت ستة مليارات دولار للاحتفاظ بسيطرتها على الصين ، ولكن عبثاً .

وطوال سنة ونصف بعد استسلام اليابان دربت الحكومة الاميركية قوات شيانغ كاي تشيك وأمدتها بالسلاح، في حين كان الجنرال مارشال يفاوض القوات الشعبية الديموقراطية ...

وفي نهاية سنة ١٩٤٦ أتمت الولايات المتحدة استعدادها لخوض غمار الحرب في الصين، فقُطعت المفاوضات وقصد الجنرال مارشال الى واشنطون حيث أُسندت اليه وزارة الخارجية . وما هي إلا فترة حتى دُشن مبدأ ترومان بالهجوم على الشعب اليوناني في اوروبة ، والهجوم على الشعب الصيني في آسية . وإذا كان مبدأ ترومان قد حاز في اليونان نصراً غير راهن فان اخفاقه النهائي الحاسم في الصين كسف هذا النصر الهزيل كسفاً كاملاً . ذلك ان الشعب الصيني انزل بحكومة شيانغ كاي تشيك هزيمة قاصمة أفقدت ممثلي الرساميل المالية الاميركية صوابهم .

ومنذ ذلك الحين ونحن نتذاكر في العوامل التي أدت الى خسارتنا للصين . ومما يلفت النظر ان الكتاب الابيض الذي اصدرته

وزارة الخارجية الأميركية عن الصين يسلّم بأن هزيمة شيانغ كاي تشيك جاءت تعبيراً عن إرادة الشعب الصيني—«ثمرة القوى الصينية الداخلية التي حاولت هذه البلاد ان تستميلها ولكنها لم توفق الى ذلك . » * اما نظام الكومنتانغ فينص الكتاب الأبيض على «ان زعماءه أثبتوا عجزهم عن مواجهة الأزمة التي واجهتهم ، وان قواته فقدت إرادة القتال ، وان حكومته خسرت تأييد الشعب . » **

وأدت الحرب العالمية الثانية الى تحرير مستعمرات آسية الجنوبية الشرقية التي سبق لليابانيين ان احتلوها ، تحريراً جزئياً مؤقتاً . ذلك بأن قوات التحرر الوطني التي يقودها الشيوعيون ساعدت على هزيمة الجيوش اليابانية ، وأقامت بعد الحرب حكماً مدنياً .

ولكن الاميركيين والبريطانيين أعدوا العدة لفرض الحكم الاستعماري من جديد على تلك الاصقاع ، حتى في خلال الحرب العالمية الثانية . فقد أرسلوا مقادير هائلة من الاسلحة الى الهند واوسترالية . ولم تستعمل الكثرة المطلقة من هذه الاسلحة ضد اليابانيين ولكنها ادخرت لحرب مؤجلة ضد الشعب . والواقع ان عشرات الالوف من الجنود الهولنديين والفرنسيين قد دُربوا في الولايات المتحدة وفي القواعد العسكرية الانكليزية الاميركية الواقعة ما وراء البحار ، للاشتراك في الحملات الاستعمارية المقبلة .

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها توزع

---

* U. S. Dept. of State, United States Relations with China, p. XVI, 1949.

** المصدر السابق نفسه ص XIV .

الاستعماريون مهمة سحق حكومات الشعب الناشئة في الشرق الاقصى . فتولى الجيش الاميركي هذه المهمة في الفيليبين وكوريا ؛ وتولاها البريطانيون في الملايو ، وكذلك في اندونيسيا ريثما أتم الهولنديون استعدادهم للنهوض بعبء المسؤولية هناك ،اما فرنسة فصبت جام غضبها على الفيات نام .

وقد اتسمت هذه الحملات الاستعمارية جميعاً بأقصى الوحشية وتولت حكومة الولايات المتحدة امر تمويلها ومدّها بالاسلحة والذخائر وتأييدها تأييداً ديبلوماسياً .

ولكن ذلك كله لم يتمّ من غير ما مقابل . فعقب كل مساعدة تبذلها حكومة الولايات المتحدة في إعادة استعمار آسية — يخطو وول ستريت خطوة جديدة في سبيل تحقيق مطالبه التقليدية التي تتلخص في سياسة الباب المفتوح ، فيحطم احتكار المالكين السابقين ويضمن لامرائه نصيباً من الغنيمة .

ولكن مكاسب الاميركيين في آسية — باستثناء اليابان — تظلّ ضئيلةً بالقياس الى مكاسبهم في بقاع العالم الاخرى . والواقع ان موجة التحرّر الوطني التي تغمر تلك القارة تتهدد المصالح الاميركية بأعظم الخطر . يدلك على ذلك ان شركة فورد لصنع السيارات صرفت النظر ، مؤخراً ، عن إنشاء ما كانت تعتزم إنشاءه من إقامة مصنع لتجميع السيارات في سنغافورة بسببٍ من « الاحوال السياسية غير المستقرة » . إذ ما الفائدة من تشييد المصانع ، وحفر المناجم ، والعناية بالمزارع إذا كان الشعب سيصادرها في وقت قريب ؟ إنّ كل همّ الاستعماريين الآن

هو ان يعيقوا ذلك ما استطاعوا الى الاعاقة سبيلا .

وفي غمرة من خيبة الأمل يعتزم الاستعمار الاميركي استعمال القوة في حرب يشنها على آسية بكاملها . فها هم البريطانيون يكادون يرزحون ، عسكرياً ومالياً ، تحت عبء الكفاح في الملايو . وهاهي واشنطون تأخذ اهبتها لذلك اليوم الذي ينفض فيه البريطانيون أيديهم منها ، فعلهم في اليونان ، ويدعون الاميركيين للنهوض بـ « عبء الرجل الابيض » .

ومثل هذا الوضع يكاد ينشأ في الهند الصينية ايضاً . ذلك ان المستعمرين الفرنسيين عجزوا عن إخضاع الشعب بمئة وخمسين الفاً من القوات المسلحة ، وبنصف مليار دولار من النفقات سنوياً . فوجّهوا وجههم شطرَ الولايات المتحدة يلتمسون منها السلاح والمال . وهنا تقدّم دين اتشيسون « لاستوهان » الهند الصينية فوافق على تقديم السلاح لاخضاع الشعب الهندي الصيني ولكن بشروط . وهكذا قصدت البعثات العسكرية الاميركية وبعثات مشروع مارشال الى الهند الصينية لتشرف على تقديم المساعدات وتراقب طرق الافادة منها . وعلاقة هذه البعثات منحصرةٌ مبدئياً بالضباط الفرنسيين ولكنها تتصل ايضاً اتصالاً مباشراً بـ « باوو داي » الذي باع نفسه للفرنسيين وبذلك يتعاظم « استقلال » باوو داي — يعني ان اعتماده على المستعمرين الفرنسيين يتناقص ، ولكن اعتماده على المستعمرين الاميركيين يتزايد تبعاً لذلك .

وفي هذه المحاولة اليائسة التي تقوم بها الولايات المتحدة لوقف

تيار الوطنية العارم في آسية ، يُراد لليابان ان تمثل دوراً شبيهاً بدور المانية في اوروبة. وليس ذلك عجيباً، فاليابان أبعد الأقطار الآسيوية إمعاناً في التصنيع ومن هنا فهي اكثرها ملاءمة لكي تكون ترسانة أو داراً للصناعة arsenal ؛ والصلات بين الرساميل المالية الاميركية واليابانية كانت وثيقة جداً قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترت شركات وول ستريت كثيراً من اسهم التروستات اليابانية منذ ذلك الحين. وهذا ما يفسر لنا نزعة الولايات المتحدة الى توطيد اركان احتلالها لليابان، وإطالة أجله ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، في حين تعمد الى اعادة تسليح العسكريين اليابانيين وتعزيز سلطانهم . وقد عبّر م. ن. روي M. N. Roy عن مخاوف الشعوب الآسيوية جميعاً حين قال : « من الامور المفروغ منها في طوكيو اليوم ان الجيوش اليابانية سوف تحارب في كل مكان ، حالما تندلع نار الحرب الجديدة ، بوصفها قوات مرتزقة تعمل لحساب الاميركيين . » *

غزو كوريا

وفي حزيران ١٩٥٠ بدأت في كوريا مرحلة جديدة من مراحل التدخل الاستعماري الاميركي في آسية ، أعني استعمال القوات الاميركية المسلحة في الهجوم على الشعوب الآسيوية الناهضة . ففي النصف الجنوبي من كوريا الذي احتلته القوات الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية كان المستعمرون قد اقاموا حكومة من أكثر

* National Standard, Bombay, Oct. 6, 1950.

الحكومات رجعيةً واستسلاماً في آسية كلها : حكومة سينغمان ري الذي مكّن ضباط الجيش الاميركي ورجال الشركات الاميركية من كل ما في بلاده من مرافق وثروات ، ونظم جيشاً إقطاعياً للقضاء على حركة الشعب الكوري الوطنية .

وبلغ من كراهية الشعب الكوري لنظام سينغمان ري ان هُزم حزبه ، رغم الارهاب ورغم قانون الانتخاب الفاسد ، هزيمة منكرة في انتخابات نوار سنة ١٩٥٠ * ، ولكن ري تحدى المجلس الجديد واحتفظ بالسلطة الديكتاتورية ** . وقَبِل برلمان كوريا الجنوبية الدعوة التي وجهها اليه برلمان كوريا الشمالية لبحث فكرة اندماجها وتشكيل حكومة موحدة. وهكذا اتضح لوول ستريت

---

* ألقى سينغمان ري تسعين من مرشحي خصومه في غياهب السجن وسمح لاقل من ثلاثين بالمئة من الشعب بالتصويت . ومع ذلك فلم ينجح غير ٤٨ من مرشحيه مقابل ١٦٢ من مرشحي خصومه وكانت كثرتهم تؤيد الاتحاد السلمي مع كوريا الشمالية . [المؤلف]

** ويبدو ان سينغمان ري يمثل اليوم الرواية نفسها بمناسبة قرب انتخابات الرئاسة . ففي ٧ حزيران ١٩٥٢ كتبت « الديلي تلغراف » تصف الوضع في كوريا الجنوبية قائلة :

« عندما يصل اللورد الكسندر والمستر لويد الى كوريا سيريان بام العين هذه الحالة المؤسفة التي وصلت اليها كوريا الجنوبية ... وتواجه هيئة الامم مشكلة محيرة بسبب إعلان سينغمان ري للاحكام العرفية واعتقاله خصومه السياسيين (١٢ نائباً) واستهزائه المكشوف بالدستور ومناوراته الديكتاتورية وتهديده بسحب جنوده من خطوط القتال وعدم مبالاته بنصائح حلفائه ... ومها يكن من امر فان الحلفاء لم يتحملوا ما تحملوه في تلك البلاد مدة سنتين ليمسوا في النهاية وسيلة لتحقيق الاطماع الديكتاتورية ... » [المعرب]

ان الحكومة الدمية التي اقامها امست معدودة الايام . فلم يكن من الاميركيين إلا ان هرعوا لانقـــاذ سينغمان ري من طريق إغرائه بالعدوان على جمهورية الشعب الديموقراطية في الشمال .

والواقع ان الجنرال روبرتس ، رئيس البعثـــة العسكرية الاميركية في كوريا ، صرح قبل هجوم قوات سينغمان ري عـلى كوريا الشمالية بثلاثة اسابيع ، قائلًا :

« ان دافع الضرائب الاميركي يملك في كوريا جيشاً هـــو حارس امين على الاموال الموظفة في تلك البلاد ... وان البعثـة العسكرية الاميركية في كوريا لمثـــلٌ حيٌّ يريكم كيف يقوى « توظيف » خمسمئة رجل وضابط اميركي ، من أولي العزم ، على تدريب مئة الف رجل ينهضون بعبء اطلاق النار من اجلكم . » *

وصرح كيم إيل سوك ، وزير الداخلية السابق في حكومـة سينغمان ري ، بقوله :

« يعرف الناس جميعاً ان سينغمان ري قصد في ربيع هذا العام الى اليابان ، بدعوة من ماك آرثر ، حيث تلقى من القائد الاميركي امراً بوضع قواته تحت تصرف هذا الاخير عندما يُشَنّ الهجوم على كوريا الشمالية ... وقد قُدّمت الى سينغمان ري توكيدات بأن سلاح الطيران الاميركي والاسطول الاميركي سيهرعان الى مساعدته ، حالما يقوم بهجومه على الشمال ، وان جيشاً من المتطوعين سيفد عليه من اليابان ، وبذلك يستطيع ان يكسب الحرب منذ

* Marguerite Higgins in New York Herald Tribune, June 5, 1950.

اللحظة الاولى من غير ريب . وفي ضحى الخامس والعشرين من حزيران من تلك السنة ، اصدر سينغمان ري امره بالقتال . » *

واحدث تدخل اميركا العسكري في كوريا استياء عميقاً في البلدان الآسيوية واستنكرته شعوبها استنكاراً كبيراً. وقد علقت صحيفة « لوكناو هيرالد » الهندية على هذا الحادث بقولها :

« لقد اعتزمت الولايات المتحدة جدياً ان تحل محل بريطانية في النهوض بعبء الرجل الابيض ... والواقع ان الخطوة التي خطتها الولايات المتحدة [في كوريا] ليست غير ضامنـــة للسلم العالمي فحسب ، بل هي تهديد راهن له، وكلما ادرك العالم ذلك كان خيراً وأبقى ... أما كل هذا الحديث عن الحرية وعن استقلال البلدان الصغرى فلا يعدو ان يكون دعاية خالصة ... » **

وهكذا فأن بدء العدوان الاميركي الصريح في آسية قد انتهى الى هزيمة سياسية من الطراز الاول لوول ستريت . أما نتيجته العسكرية فقد قوّضت اركان الاسطورة القائلة بتفوق الرجل الابيض على الرجل الملوّن .

ولكن كيف استطـــاع الجنود الكوريون أن يردوا الصاع صاعين للجيوش الاميركية المتفوقة عليهم بالسلاح، والمؤيدة بقوات البحر والجوّ ؟

إن السبب الاساسي غايةٌ في الوضوح . لقـد كان الجنود الكوريون يقاتلون ذوداً عن استقلالهم الوطني وعن الارض الـتي

---

* Quoted by Jacob A. Malik at U. N. Security Council, Aug. 12, 1950.

** Quoted in New York Herald Tribune, July 21, 1951.

حرثوهــــا هم وأسلافهم طوال مئــات السنين . امـا الجنود الاميركيون فلم تكن لهم مصلحة في حرب "تشن" في اراضٍ اجنبية لغير ما سبب يستطيعون أن يفهموه . صحيحٌ ان ماك آرثر كسب انتصارات عسكرية موقتة بأن ألقى بكامل قواتـه البرية والبحرية في الميدان الكوري . ولكنه عجز عن إخضاع البلاد وشعبهـــا إخضاعاً حقيقياً، ليقنع باحتلال المدن الرئيسية وخطوط المواصلات، شأن المستعمرين الفرنسيين في الهند الصينية اليوم، وشأن المستعمرين البريطانيين الذين قاوموا الثورة الاميركية الاستقلالية منذ مئـة وخمس وسبعين سنة .

واضطر الرئيس ترومان والجنرال ماك آرثر الى ان يلتمسا ، مع احلافهما الاوروبيين ، الغوث والعون . وتعاظمت الخسائر الاميركية في كوريا تعاظماً يذكّر بأيام الحرب العالمية الثانية .. وزيدت الموازنة العسكرية زيادة بالغة تضاعفت معها ارقامها .

وهذا كله في حربٍ "تشن" ضد ثلاثة في المئة من سكان الشرق الاقصى . . .

فأي ثمن ستدفعه الولايات المتحدة اذا ما سمحت لحكامها بتوسيع نطاق الحرب حتى تشمل الصين والهند الصينية والفيليبين، وتستغرق شعوب آسية الجنوبية الشرقية بكاملها ؟

الفهرست

	صفحة
مقدمة بقلم الدكتور جورج حنا	٣
١ . نشوء الاستعمار الاميركي	١٢
جذور التوسع الاستعماري	١٤
طرائق التوسع الاستعماري	١٩
أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري	٢٣
٢ . امبراطورية وول ستريت	٢٧
شركات النفط المتحدة تقتسم العالم في ما بينها	٣٠
الامبراطوريات الصناعية	٣٦
نظام المحالفات الدولية الاقتصادية	٣٧

امبراطورية المصارف ٤٠

الامبراطورية الاقليمية ٤١

٣ . وول ستريت ومأساة الزنوج ٤٦

استغلال الزنوج استغلالاً فاحشاً ٤٩

مظاهر الاضطهاد السياسي ٥٥

٤ . النقطة الرابعة والدول غير المتطورة ٦٠

٥ . ستراتيجية السيطرة على العالم ٧٠

٦ . محاولة استعمار أوروبة ٨٧

أسلوب الفتح التدريجي ٨٩

التعاون مع العناصر الرجعية ٩٠

تعاظم السيطرة السياسية ٩٢

« توحيد » أوروبة ٩٤

٧ . السيطرة الاقتصادية على أوروبة الغربية ٩٩

المبالغة في اغراق الاسواق ١٠٠

خفض الأجور ١٠٣

سحق الاقتصاد الوطني	١٠٧
الدولار يستعبد اوروبة	١١٠
٨ . **الولايات المتحدة ترث الامبراطوريات القديمة**	١١٦
مبدأ ترومان والشرق الاوسط	١١٩
فتح افريقية	١٢٤
مستقبل الاستعمار في آسية	١٣٠
غزو كوريا	١٣٦

كنوز القصص الإنساني العالمي

سلسلة جديدة تعرّف القارئ العربي إلى شوامخ الآثار القصصية
العالمية ذات النزعة الإنسانية

اختارها ونقلها إلى العربية
منير البعلبكي

•

صدر منها

		ق. ل
١ – كوخ العم توم (الطبعة الثانية)	لهرييت ستاو	٢٠٠
٢ – امرة آرتامونوف (الاول)	لمكسيم غوركي	٣٠٠
٣ – » » (الثاني)	لمكسيم غوركي	٢٥٠
٤ – المواطن توم بين (الاول)	لهاوارد فاست	١٥٠
٥ – المواطن توم بين (الثاني)	لهاوارد فاست	٢٠٠
٦ – ستة وعشرون رجلًا وفتاة واحدة	لمكسيم غوركي	١٠٠
٧ – حكايات من ايطالية	لمكسيم غوركي	١٠٠
٨ – شارع السردين المعلّب	لجون شتاينبيك	١٧٥

١٦٠ / ٤ / ١٩٥٤ / ٣٠٠٠

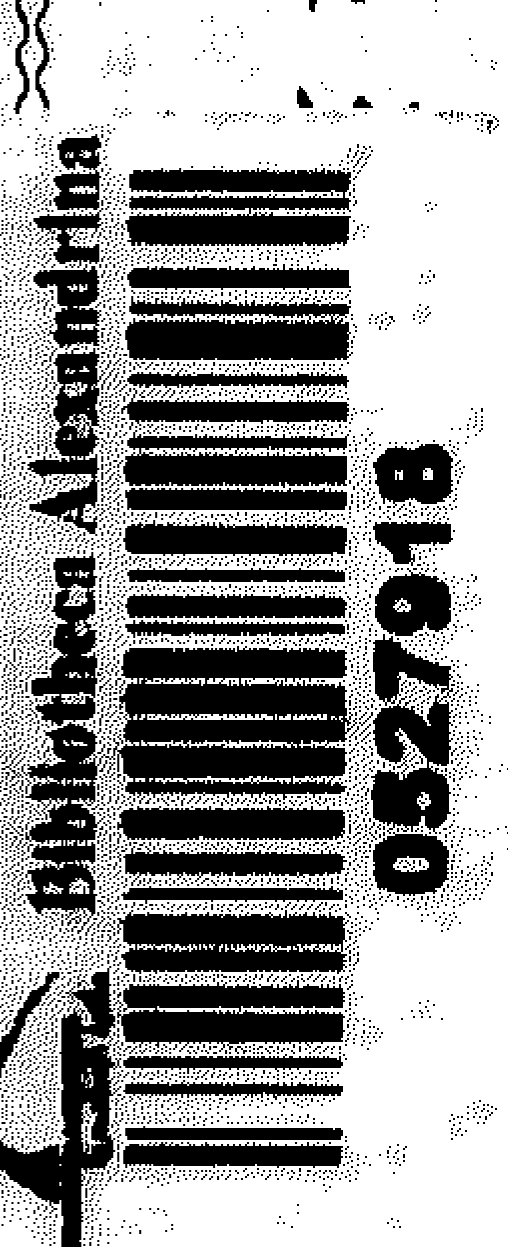


عَلِّمْ نفْسَكَ

سِلسِلة كتبٍ مُبَسّطة لِنشرِ الثقافةِ العامّة
اختار موضوعاتها ونقلها الى العربيّة

منير البعلبكي

صدر منها :		ق.ل
١ . كيف تكسب السعادة	لبرتراند راسل	١٥٠
٢ . قادة الفكر الحديث (الطبعة الثانية) (كارل ماركس، برنارد شو الخ ...)	للاستاذ كوتس	١٥٠
٣ . علم النفس الحديث	للاستاذ سارجنت	١٥٠
٤ . كيف تفكر	للدكتور جبسون	[illegible]
٥ . ألفباء المرض والشفاء	« كوبلاند	
٦ . الحضارة الاوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة	للاستاذ شيفل	
٧ . اعمدة الاستعمار الاميركي (الطبعة الثانية)	للاستاذ فكتور بيرلو	
٨ . مصرع الديموقراطية في العالم الجديد	« البرت كان	
٩ . فلسفة من الصين	للفيلسوف لين يوتانغ	
١٠ . قصص انسانية عالمية	لتشيخوف، تولستوي الخ ..	



الثمن ١٥٠ قرشا لبنانيا أو ما يعادلها

مطبعة دار الكتب